البدو الظرفاء

مواقف طريفة من واقع الحياة

بدر الحمد

الجزء الأول

الطبعة الأولى



عنوان الكتاب:

البدو الظرفاء (مواقف طريفة من واقع الحياة)

❖ المؤلف : بدر الحمد

❖ رقم الطبعة : الطبعة الأولى ، الكويت / ٢٠٠٣ (حقوق الطبع محفوظة للمؤلف)

❖ عدد الصفحات : (١٢٨) صفحة من القطع المتوسط (٢١ × ١٥) سم .

❖ لوحة الغلاف : صورة في العام ١٩١٣

❖ الموزع : وكيل التوزيع / المجموعة الإعلامية العالمية

هاتف : ٤٨٢٦٨٢٠ - ٤٨٢٦٨٢١ - فاكس : ٤٨٢٦٨٢٣

❖ عنوان المؤلف :

bader_alhamad888@hotmail.com

همسة

هذا الكتاب عبارة عن بطاقة دخول
إلى دنيا الابتسامة والراحة النفسية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

أما بعد . .

أعتقد أن الإنسان بحاجة دائمة للترويح عن نفسه ، بخاصة وأن الحياة أصبحت معقدة ، وقد زادت مشاغلها وتعددت متاعبها . وربما لو قام الواحد منا باحصاء مسببات التعب الذهني والجسدي منذ اشراقة الصباح إلى حلول المساء ، لوجدنا قائمة طويلة من أصناف مختلفة تجلب الارهاق البدني والشتات النفسي .

سواء كان ذلك في محيط الأسرة والبيت حيث طلبات لا تنتهي ، أو العلاقة بالجيران والمعارف والأقارب ودوامة من الارتباطات والمجاملات . أو في مجال العمل وما يتطلبه انجاز الأعمال من جهود بدنية وفكرية .

لذلك . . فإن هذ الكتاب عبارة عن بطاقة دخول إلى دنيا الابتسامة والراحة النفسية ، حتى وإن استغرق ذلك لحظات معدودة . . تقلب أثناءها صفحاته .

وهو - ربما - محطة للترويح عن النفس من عناء الحياة ، ومحاولة لإضفاء حالة من المرح وبعث أجوائها . فالإنسان بحاجة للابتسامة والمرح ، والضحكات التي تصدر من القلب . .

ليحارب بها العبوس والضجر من حوله .

وبالمناسبة . . فالإنسان المرح المبتسم دائما تجد له قبولا من الناس ، واقبالا على أحاديثه الفكهة ، على العكس من الإنسان العابس الكئيب الذي يتحاشى الناس الاقتراب منه وربما لا يستلطفون الجلوس معه والتحدث إليه .

يقول إيليا أبو ماضي :

قال السماء كئيبة وتجهما
قلت ابتسم يكفي التجهم في السما
قال الصبا ولّى ، فقلت له ابتسم
لن يرجع الأسف الصبا المتصرما

هكذا يدعو الشاعر إلى الابتسامة والبعد عن التجهم والعبوس ، ودعوته هذه تتفق مع النظريات العلمية التي تعتبر الضحك والابتسامة تمرينا وتدليكا لعضلات الوجه وراحة لها حيث لا تكلفها جهدا ، فالإنسان يستخدم حين يبتسم ١٣ عضلة من عضلات الوجه في حين أنه يستخدم ٤٧ عضلة عند العبوس .

ومن الأقوال الظريفة : «الابتسامة أقل كلفة من الكهرباء وأكثر اشراقا» . ويقول أحد الحكماء : «ليكن وجهك بساماً وكلامك لينا تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم الذهب والفضة» وقيل : «شق طريقك بابتسامة خير من أن تشقها بسيفك» .

لكن . . يجب ألا يكون هناك افراط في المزاح ، فإن الإفراط فيه مجون ، والاقتصاد فيه ظرافة ، والمزح يجب أن يكون في الكلام كالملح في الطعام . . وفي هذا المعنى يقول الشاعر :

أفد طبعك المكدود بالهم راحة
قليلاً وعلله بشيء من المزح

ولكن إذا أعطيته المزح فليكن
بمقدار ما تعطي الطعام من الملح

❖❖❖

وخير من نقتدي به هو نبينا الكريم - صلى الله عليه وسلم - فقد كان يمازح أصحابه ، بالعبارات والكلمات اللطيفة الظريفة إلا أنه كان لا يقول إلا حقاً .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال :

قالوا : يا رسول الله ! إنك تداعبنا . قال : «نعم ، غير أني لا أقول إلا حقا» .

- وعن أنس بن مالك :

أن رجلا استحمل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : «إني حاملك على ولد ناقة» !

فقال : يا رسول الله ما أصنع بولد الناقة؟ فقال صلى الله عليه وسلم : «وهل تلد الإبل إلا النوق» .

من هنا . . فإن الحكايات التي ضمها الكتاب هي حكايات من الواقع وليست مستوحاة من الخيال ، بعضها حصلت في الزمن السابق بشواهدها من الأبيات الشعرية والبعض الآخر حدثت في أيامنا هذه ، رويت من أصحابها مباشرة أو حدث بها ذوو علاقة بهم في مجالس عدة ، وأحيانا تكون متداولة بين الناس . وحين أؤكد على هذا فإنما لأبين بأن نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم حذرنا أشد التحذير من رواية الحديث الكذب لإضحاك الناس به . قال صلى الله عليه وسلم : «ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ، ويل له ، ثم ويل له» .

يفهم من هذا أن التفكه بالكلام والمزاح إذا كان بحق فلا بأس به ، مع الأخذ بالاعتبار عدم الإكثار منه . أما الكذب فلا يجوز .

وفي الختام . .

أتمنى أن يجد القارىء في هذا الكتاب ، إلى جانب الترويح عن النفس والتسلية البسيطة ، فائدة ما يخرج فيها بعد قراءته .

معتذرا عن أي قصور أو هفوة وخطأ ربما لم أنتبه إليه ، آملا قبول اعتذاري مسبقا .

والله ولي التوفيق

بدر الحمد

بشت اللويحان

هذا رجل من أهل بريدة يدعى سليمان العثمان لقبه أبو علي . . كان اشترى من الشاعر المعروف عبدالله اللويحان (بشت) بأربعة وعشرين ريالا فرنسياً ، دفع منها أربع ريالات إلا أنه أخذ يماطل في دفع البقية ، وكلما طالبه اللويحان ضرب موعدا جديدا ، ثم لا يفي بوعده .

فما كان من اللويحان إلا قال هذه الأبيات :

أوي والله خطيه ظاهره يا بو عليان
أكلت بشتي وأنا احسبك رفيقٍ لي وغالي

يوم المداخيل يا زينك تشعشع يا كحيلان
وصلت منه أربعة مير الفخر عند التوالي

إن جيت أبا أطلبك حقي قلت مهله يالويحان
أبا ألبس البشت والبيزات أبا اوكلها عيالي

برّقت وإلا قليل المال للديّان سلطان
إن جيت أبا اشكيه قال القصر شف بابه قبالي

أما أبو علي حين سمع هذه الأبيات وكانت تربطه علاقة صداقة بالشاعر المشهور سليمان بن شريم ، فقد طلب منه المساعدة بأبيات يرد بها على اللويحان بخاصة وأنه لا يقرض الشعر . . فقال ابن شريم على لسانه :

دينتني سمط بشت بايدٍ مع كل ما كان
لو هو عطا منك يا ريف النضا ما هوب غالي

واللـه لـو إنـه حـــــضـــــرني يـوم تـطلبني سـليـــــمــــــان

إني لأخلصك مـــــخـــــلاص الـرجـــــال من الـرجـــــالي

أثرك رفـــيـق الـضـــحى وأنت أول الـغـــاره مـــســـيـــان

ســـــايـوس قـــــومٍ تـدوّر زلـة الـصـــــهـــــر الموالي

فلما سمعها اللويحان ، وعرف أن الرد جاء من ابن شريم ، لأن صاحب البشت لا يجيد الشعر . . أجاب على هذه الأبيات موجها كلامه إلى سليمان بن شريم يقول له بما أنك صديق وقد عرفت القصة فلماذا لم تطالبه بدفع ما عليه بدل أن تدافع عنه :

وراك يـوم الـتـــزم لـك بـالـوفـــا خـلـك سـليـــــمــــــان

مـــا قـلـت سـلـم دراهـم يـوم حـــــضـــــرت المجـــــالي

إمـــا يـسلـم نقـــود ويـتـــبـع الإحـــســـان بـاحـــســـان

وإلا تـوخـــــر شـــــداده مــــا يـسلم والجـــزالـي

مـــا خـــبـــر من قـــدّم المعـــروف وانكـرتـه بـجـــحـــدان

ألـزى على عـــشـــرتـه واثبت كـــمـــا النجـم الـشـــمـــالي

لاشك أبـا اصـــبـــر وابـفـــهـق لـين اشـــوف الـبـــيـت مـليـــان

فـــإلى وجـــددت الـوفـــا لأيـاك تـطمع في حـــلالي

ولا انت مـــثـل الـربـا فـــإن الـربـا زوده بـنـقـــصـــان

مـــثـل الـذي مـــا يـشـــوف الـشـــمـس ويـشـــوف الـهـــلالي

* * *

لا تهمّك ثيابي!

الشاعر سليمان العبد الكريم العويس . . شاعر متمكن ، وهو من شعراء القلطة وله مساجلات مع شعراء عدة .

كان سريع البديهة . . فقد قال له شخص التقى به ، لماذا هدومك كلها زيت؟ ! . . فرد عليه بسرعة :

عرضي نظيف ولا تهمك ثيابي

لو تمتلي ديزل ولو تمتلي زيت

ولا نظيفٍ من وراه المرابي

الألف بألف ويتبعه قول ما اوفيت

ما يدري ان الوقت بار وكبابي

أجمع وتأكله المصاريف تشتيت

بالبيت من يمشي . . والبيت حابي

واضف على هذا بعد كروة البيت

وسأله أحدهم ذات يوم : منذ مدة ما سمعنا من شعرك شيئا؟ ! . . وكان السائل مرتاحا بينما شاعرنا كان تعرض قبل قليل للمطالبة بأجرة البيت . . فرد عليه :

يا سائل عني تبي مني أخبار

انشد ومن عندي تجيك الافاده

اعطيك علمٍ صاغ وزنٍ بمعيار

واصحح عن لا يجيبه زياده

قاسيت ما قاسيت من شوح الأكدار

عندي على نطح المتاعب جلاده

بلش عن الأشعار في كروة الدار

لله في خلقه تصرف وإراده

ولما سلم عليه أحد الأشخاص ، قال له : يدك خشنة ! وكان سليمان يعمل بيده ، فأجابه :

حرشا يدي ولا يقال أقطعوها

خشونتي ولا النعومة والإفلاس

شغلة شرف كل الرجال ايدوها

الكد أخير من التوسل إلى الناس

وكان . . عندما أزعجه صاحب البيت ، يطالبه بالإيجار ، قد ضاق ذرعا بحاله . . فقال :

يا ليت لي فلةٍ يم الكواكب هناك

لو وجهوا سام ما جاها ولا طالها

اسكن بها ما يجيني ريب ولا ارتباك

ما مر بعض البشر من عند مدخالها

وإيدي بالأرض . . واشبك ما يناسب شباك

لا ناسبتني حمام السدرة اشتالها

ما أحد يقول أنت لي وش بك ولا وش وراك

يختم على أفواهها . . ويبدينها أغلالها

وفي وقت آخر . . ربما تغيرت حياته إلى الأفضل قليلا بينما بقي يلازمه حظه الأول في

علاقاته مع من حوله .

فقد كان عنده ثلاث سيارات لنقل الماء ، فقام بوضع خيمة صغيرة في أرض خالية لتكون استراحة لسواق السيارات قريبا من الماء . فجاءه رجل قائلا : هذه الأرض ملك خاص وعليك أن تزيل خيمتك بأسرع وقت . ولم تفد محاولاته لإبقاء الخيمة لمدة وجيزة . حيث اضطر إلى اقتلاعها ونصبها في أرض أخرى .

وما كاد يشيدها ، إلا وجاءه رجل آخر يطلب منه ازالتها لأنها تقع على أرضه الخاصة . وربما بعد محاولات مستميتة استطاع أن يقنع الرجل ببقاء الخيمة لمدة أيام قليلة . . فقال سليمان العويس في ذلك :

في طريق الخرج بأيمن خنشليله

باني لي خيمة بين الكباري

قالوا التجار ما احدثته تزيله

خيمتك شلها قبل تطرد اجباري

قلت خلوني ولو عشرين ليله

اتصل في كل ما سمي عقاري

ليت ملكوك الفضا عندي رحيله

يوم ضاقت بي وسيعات الصحاري

ومن طرائف الشاعر سليمان العويس أنه لم يكن التقى الشاعر المشهور زبن بن عمير ، وليس بينهما معرفة .

وفي أحد الأيام بينما كان يقود موتره في الشارع ، شاهد رجلا يحمل حزمة برسيم . . فلما اقترب منه ، توقف ، وقال :

- «تفضل . . نقرّبك من محلّك يا بن الحلال» !

فقال الرجل :

- «وين أحط البرسيم»؟ !

فقال له سليمان :

- «حطه على ظهر الموتر» .

فوضعه الرجل وشد عليه بالحبل ، وركب إلى جانبه فقال له سليمان مداعبا وهو لا يعرفه :

يا راعي القت قتّك جوّده لا يطيح

تبات شاتك على الرجلين في جوعها

فقال الرجل :

أخذتني بالضمان إن كان هرجك صحيح

هرجتك ما ناب عارفها وموضوعها

قال سليمان :

يا عود ابنشدك بالله خل هرجك صريح

كان انت زبن اترك الدعوى ومشروعها

فأجابه بأنه زبن بن عمير بالفعل ، فحدث التعارف بينهما وامتدت الصداقة بينهما بعد ذلك .

* * *

بضاعته صوف!

الشاعر عبدالله عبد الرحمن الدويش رحمه الله - من أهل الزلفي - عرف بالأخلاق العالية وامتازت قصائده بالجودة والجزالة . . ولا يخلو من دعابات في قصائده .

سافر مرة إلى «الخميسية» لغاية ما . . ولكن لم تأت الأمور كما يشتهي ، ولم يوفق في سفرته تلك فقال هذه الأبيات من قصيدة طويلة :

عـــســـــاي وان رحت ناوٍ للخـــمـــيـــســـيـــة
تـعطى المشش فــــاطري في كـل رجليــــهـــا

لـو عـــرقـــوني على البندق مـــجـــيـــدية
حلفت مـــا أقـــفي شـــمـــال رايحٍ فـــيـــهـــا

نـقـــالهـــا من خـطـرها ناقلٍ حـــيـــه
وش لـي بنـقـل الحـــيـــايا قل واليـــهـــا

مـن عـــقـــب ربعي مـــزبـنة الجـــلاويـه
اليــــوم مع لابةٍ مـــا اعــــرف لغـــاويهـــا

يا عين صـــبـــرك على شـــوف المحـــقـــريه
قـبلك عـقـيل الحـمـيـدي شـاف مـا فـيـهـا

ومرة سافر إلى عمان بتجارته من الصوف ، ليبيعه في أسواقها ، لكنه خسر ، ولم يجد من يشتريه منه . . فأخذ يوزعه مجانا بلا ثمن على زبائن من نوع خاص . . وعند عودته تذكر ما كان من شأنه فقال :

اللى طرش لعـــمــــان وبضـــاعــــتـــه صـــوف
عـــشـــرة ثلاث ان كـــان مـــالـــه صـــفـــا لـه

وان صـــار مـــثلي ضـــاع من غـــيـــر مـــعـــروف
ســـــواه مع بيض التـــرايب جـــمـــالـه

لا جت تبـــخـــتـــر كنهـــا غـــصن غـــريوف

مـــــــــــــا يـنـوصـف بـالــزيـن زاهــي دلالــه

ان سلهـــمـت بالشـــوف والـوجـــه مكشـــوف

الـزول عـــود الخـــيـــزران اعـــتـــداله

قـــالت تبـــيـــعـــه قلت خـــوذيه مـــزغـــوف

والـفـــــايده مـنـكـم حــــــرامٍ حـــــلالـه

وقال مرة عندما قل ماله ، وبدأ عدد أصحابه يقل بعد أن كانوا يملأون «دكانه» . . يصف ذلك بظرف وحكمة أيضا . . يقول :

الــربـع قـلّـوا يـوم قـلّـت نـقـــــــــــــودي

أحـــدٍ حـــيـــا واحـــدٍ جـــعـلهـــا شـــراده

أول عـلـى الـدكـــــان مـــــثـل الـوفـــــودي

نـــذودهـــم عـــنـــا لـــك الـلـــه ذيـــاده

والـيـــوم جـــازوا بـالجـــفـــا والـصـــدودي

كـلٍ تـنـاوش مـــا بـقـــا من عـــتـــاده

يـخـــشى سلف عـــشـــرين قـــرشٍ ســـعـــودي

تـطـلـع ولا تـرجـع بـوافـي اعـــــــــداده

يـالـلـه يـالـلـي لـلـخـــــلايـق سـنـودي

مـــحـــيي العظام البـــاليـــه من عـــبـــاده

راجيك من عقب الهبوط الصعودي

حظٍ بتالي العمر يقدح زناده

به نستريح من الشقا واللهودي

ومن ديون مطوقتنا اقلاده

بالمال فرطنا عسى ما تعودي

من الخساره صار منّا نفاده

وكان في آخر حياته ، تزوج بفتاة شابة ، ولما رأى أنه غير قادر على القيام بحقوقها الزوجية ، فقد طلقها . فقال البعض ربما يريد أن يأخذ الصندوق ! . . أي يقصدون ربما طمع بأخذ الصندوق الذي يحوي المصاغ وغيره . فقال في ذلك :

يا ناس لا تطرون صندوق نوره

ما بيه لو إنه من الصوغ مليان

ما نيب من يجزى عشيره ابّوره

انبدل السيّه بمعروف واحسان

وهو حين يقول ذلك ، فلا تستغرب منه الشهامة والكرم ، لأخلاقه الفاضلة ، رحمه الله .

وكان تزوج عدة مرات ، ويروى أنه سمع من احدى زوجاته كلمات مستهجنة . . فقال :

والله يا خلٍ نواني بهجران

انه عدو الروح وأنا حريبه

روحي بثلث التسع ما فيه رجعان

اللي فرق بين الحبيب وحبيبه

وقصد في قوله : بثلث التسع ، أي طالق بالثلاث .

ودخل البيت في أحد الأيام ، فسمع عجوزا تشتم وتسب في بعض الأشخاص . . فقال :

الـنـاس فـي مـــــحـنــة ولـو صـكـوا الـبـــاب

مـــا يـسلمـــون من أمـــهـــات الطـراطيـب

غـــربـلـهـن الـلـه غـــربـلـنـا بـالأكـــذاب

لا يـســتـــحـن ولا عـلـيـــهـن رواقـــيـب

* * *

شرابة القدو

الشاعر محمد العبد الناصر - رحمه الله - من أهل العقلة ، قرية من قرى الزلفي ، كان من عادته إعداد القهوة بعد صلاة الفجر (الشبّة) . . وفي أحد الأيام انشغل بأمر ما داخل البيت ، فلم يتمكن من فتح الباب حسب العادة . وفي هذه الأثناء جاء رجل ، وأخذ يطرق الباب بشدة ، فلما فتح له الباب فإذا به شخص ثقيل دم ، وهو لا يشتهي زيارة هذا وأمثاله . . فقال :

بـعـض الـعـــرب زولـه عـلـى الـكـبـــد طـيـنـه

والـلـه مـــا تـفـــرح بـشـــوفـــه إلى جـــاك

يـدخـل عـلـى نـاسٍ وهـم كـــــارهـيـنـه

مـــا يـســتـــحـي من سب ذولا وذولاك

يـا بـيـنـهـــا لأهـل الـقـلـوب الـذهـيـنـه

مـن صـك عـنـك الـبـــاب ، مـــا اوحى منـاداك

وكان اضطر ذات مرة لدخول مقهى ، فإذا بصاحب المقهى وقد رفع صوت المسجل بصورة مزعجة ، فيما تنطلق منه أغنية ، فقال يتمنى لو أنه أعد «الدلة» في بيته لكان أفضل مما هو عليه الآن :

فنجـــــال وقت الضـــــحى وان زيـد في هيـلـه
احـلـى مـن وفـــــــاية الـديّـان ديـانـه

لـعـــــاد دلـتـك فـي يمـنـاك وتشـــــيـلـه
مـــا انتب توقف تـقـــهـــوى لك بكيـــخـانه

غـناويٍ . . دايمٍ تـزعـــر مـــحـــاحـــيلـه
وشـــرابـة القـــدو يعـــمـــونك بدخـــانه

❋ ❋ ❋

الفلوس تغير النفوس؟!

الشـاعـر فـهـد بن مطلق الأزيمع المطيـري - من أهل حـائل - يذكـر عنه الكرم والمروءة والأخلاق النبيلة اضافة إلى شاعريته التي أضفى بروحه المرحة عليها كثيرا من الوهج مما جعل قصائده محببة إلى النفس تتناقلها الناس .

كان أخوه «سـالم» حصل على «تثمين» لبيتـه في حائل ، وصدر له شيك على مؤسسة النقد بالرياض ، فما كان من فهد إلا أن أخذ بمداعبة أخيه ، حين قام يصلي بالمسجد المجاور للمؤسسة قبل صرف الشيك ، حيث وضعه في جيبه ، وأثناء الصلاة كان انتباهه عند الشيك خشية السرقة . يقول فهد :

مـــاجـــور يـا رجـل بدا فـــيـــه خلـه
حلقـــه يبس من خـــيـــر والشـــر فـــاته

خـويّـه الأمـلس صـلاتـه فـطـن لـه

رجلٍ صدوق ولا كـذب مع شـفـاتـه

يـقـول أبو نـاصـر كـلامٍ يـدلـه

قـولي بشـاني بيت هـذا ثبـاتـه

كـبّـر يصلي . . وانتـبـه صـاحب لـه

الشـيك في جـيـبـه ويكرب عـبـاتـه

يـرجـف شـنق صـدره تـقـل فـيـه علـه

حـمّى فـرح بـغـت تـصـرّم حـيـاتـه

يـده عـلـى المخـبـا عـسـى الـلـه يـحلـه

وإلـى سـمـع مـشيٍ يـبين التـفـاتـه

وأشـلـون بـالمسـجـد تـقـل فـوق مـلـه

آمـنـت بـالـلـه كـيـف يـبـست لـهـاتـه

نـفـسـه عـلـى جـمـع الـدراهم مـغـلـه

ومـن جـمـعـهـن واشـلـون يـخـرج زكـاتـه؟ !

وقد رد عليه سالم مدافعا عن نفسه ، وقد تعمد اغاظة أخيه فهد بما ينوي القيام به بعد الحصول على المبلغ !! . . موضحا بأن البادىء أظلم . يقول سالم :

دعـواك يـا فـهـيـدان لازم نـعـلـه

والـقـيـل والـقـيـفـان خـذهـا وهـاتـه

هي عادة العايل لزوم ندله

ورد الجزا بالقرم حاضر حلاته

الشيك أخذته فيه «سبعين» كله

والفضل لله ما جحدنا غناته

نبي من الخفرات بنت بفله

عين العنود اللي بقفر فلاته

وانته على فقرك رمادك تمله

مع العجوز اللي بكبرك بناته

وكثيرة هي المداعبات بين فهد وأخيه سالم ، وأغلبها حول النقود والمال ، من ذلك قول فهد :

علّتك ما مرّتن مرّه ولا مرّيته

والمجرب للمرض مذكور خير مداوي

لا جتن حمى الفرح والكيس ما عبيته

كيف أسوي بالدراهم يا كراع الشاوي

ما نلومك لو رجف صدرك ولو حبيته

لعن أبوهن يودعن المندهك صقلاوي

يوم كبرت بصلاتك للإله ببيته

وين رحت . . ووين جيت . . ووين فكرك داوي

مـن تسنّـن حـــــول جنبك ولمسك كـــــزيتـــــه

في صـــلاتك يـا عـــمـــيل الخـــيـــر تقل تراوي

قـــال أبو ناصـــر صـــلاتك ليش مـــا وفـــيتـــه

بـاقي لـك ركـــعـــتين وقلت له بـالـهـــاوي !

والشطر الثاني من البيت الأخير إنما بالغ به فهد على سبيل الدعابة ، وإلا فإن سالم حريص على الصلاة ولا يصدر منه مثل هذا اللفظ أو من غيره من المسلمين فهو لا يجوز .

* * *

مقيط ورشاه!

إن عملية صيد الصقور من أوكارها وهي مازالت فراخا ، عملية شاقة وخطرة جدا ، فالمعروف أن الصقور تبني أعشاشها في شقوق الجبال ، على الواجهات الوعرة على مسافات مرتفعة جدا عن مستوى الأرض ، حيث لا يمكن للصيادين صيدها إلا بعد الصعود إلى أماكن أعلى منها ، ومن هناك يقوم واحد بربط حبل قوي وطويل حول نفسه ليقوم الاخر بانزاله ببطء حتى يصل إلى الوكر ليأخذ الفراخ فيرفعه صاحبه مرة أخرى .

وجرت العادة أن يكون هناك اتفاق سابق بين صيادين على نصيب كل واحد منهما من الصيد ، فالفراخ هذه منها «النادر» وهو أفضل الأنواع ، ومن بعده «اللزيز» الذي يليه بالجودة ، وآخرها «التبع» الذي لا يرغب به أحد .

وحدث أن اتفق اثنان أحدهما اسمه «مقيط» حيث ينزل بالرشا إلى الوكر يدليه صاحبه ، ثم يرفعه بعد ذلك . وقد اشترط صاحبه أن يكون النادر من نصيبه واللزيز من نصيب مقيط . وتم الاتفاق بينهما على هذا الأساس .

فلما نزل مقيط ، وصاحبه يرخي الحبل بحذر ، حتى وصل للوكر ، فوجد النادر فأعجبه ، ثم زين له الطمع وقلة العقل أن يتمرد على الاتفاق ، فصاح بصاحبه : إن النادر لي واللزيز لك . فقال صاحبه : لكن هذا عكس ما اتفقنا عليه . فأصر مقيط على رأيه وصاحبه يحاول أن يثنيه عن هذا الرأي ، وقد غاب عن مقيط أن موقفه ضعيف وهو على هذه الحال ، بل هو محرج للغاية ، حيث إن صاحبه لما طال الجدال ويئس منه قال : «يا مقيط . . هاك رشاك» ، فهوى مقيط ورشاه من علو شاهق فتمزق أشلاء !

وذهبت عبارة «مقيط ورشاه» مثلا شائعاً بين الناس لمن يريد الفائدة أو الخير فيعود بالخسران أو الشر .

* * *

حمر الطرابيش

قابل الشاعر أحمد المنيع - رحمه الله - بعض أصحابه ، في أحد الأيام ، فأرادوا المزاح معه بتصنع اغاظته حيث قالوا : نحن ذهبنا وقد حصلنا على كذا وكذا . . وأنت في مكانك لم تفعل شيئا ولا حصلت على شيء . . فقال يسخر منهم :

راحوا حواشيشٍ وجونا لهم ريش
سبحان قلاب النطف عقب ما فات

يوم اقبلوا يشدون حمر الطرابيش
أيضا وكبر نفوسهم تقل باشات

نصبر عليكم لين ما يكمل العيش
ثم يجيكم ما وطانا بلحظات

يقول أن أصحابه جاءوا بغرور وكأنهم حمر الطرابيش أي الأتراك .

* * *

وافقت يا مسيعيد!

هذه قصة أحد الشجعان من أصحاب «الحيافة» أي يمارس الغزو بمفرده حيث يكمن في النهار ويختطف تحت جنح الظلام ما يتمكن منه من «حلال» الأعداء . ويسمى الواحد «حايف» وإذا كانوا اثنين أو ثلاثة فهم «حنشل» .

وكان هذا الرجل كثيرا ما يغنم ، مما جعل واحدا من جماعته اسمه «مساعد» يطلب منه أن يرافقه ، لعل وعسى أن يحصل على فائدة . لكن مساعد هذا جبان وسوف يكون نقصا على صاحبه الذي صارحه بهذه الحقيقة ، وبين له خطورة هذا الأمر وما يحتاج إليه من قوة وجسارة !

فكان رد مساعد أنه سوف يتكفل بالخدمة ونقل الزهاب وطبخ الطعام . كذلك فإنه حاد البصر . فقبل به الرجل .

وفي الطريق صادفهم أعداء ، عبارة عن خمسة رجال على مطيتين ، والسلاح آنذاك الرمح والتراشق بالحصى وغيره . فاشتبك الشجاع معهم ، أما مساعد فانسل بهدوء وقد أخرج أدوات الطبخ ، يريد اعداد الطعام ، وكأن الأمر لا يعنيه بشيء مطلقا .

وكان الأعداء كلما زاحموا صاحبه الشجاع ، وأجبروه على التراجع ، يقوم مساعد من مكانه مستهزأ ساخرا من صاحبه ، وكأنه مستخف بهم أيضا ، وهو يقول لصاحبه : أين قولك . . أنا أنطح عشرة؟ ! . . فيرد عليه صاحبه وهو مشتبك معهم ، لما يعلمه عنه من ضعف ، سد مكاني وسوف أكفيك ! !

فظن الأعداء أن هذا الكلام حقيقة ، فهذا الذي لم يقدروا عليه حتى الآن باستطاعته منازلة عشرة فرسان ، والآخر لا يعلمون مدى شجاعته لكنهم لأول مرة يرون رجلا لا تهتز منه شعرة ولا يأبه بما يحدث في موقف كهذا . . لذلك فروا على أرجلهم هربا تاركين مطاياهم وأسلحتهم . فقال الشجاع :

لا والله إلا وافقت يا مسيعيد

فعل اللسان اخير من فعل يمناك

جونا وجيناهم وصارت مطاريد

ولاني بخابر فيك فزعات وأنخاك

وأثر لسانك مثل ضرب البواريد

يا عنك ما نأخذ من الجيش لولاك

الحرب خدعة بين فر وتوريد

ونوبٍ بحيله والمعادين تخفاك

* * *

الجمل والسبع!

هذا الشاعر عبد العزيز العلي العبيدي ، سمع شاعرا يصف جملا أسطوريا ، إذ أن رجليه في صنعاء ورأسه في سنجار بالشمال ، ويرتفع سنامه إلى علو لا تستطيع أن تحلق إليه الطيور . . اضافة إلى المبالغات التالية ، التي يوردها الشاعر بقوله :

بركت لي حيدٍ من الزمل صبار

حيد ولد حيدٍ طوال متونه

رجليه في صنعا ورأسه بسنجار

وعالي سنامه حلق الطير دونه

الشط شربه ، والحقه سبعه ابحار

والشط الآخر ما يندي سنونه

بطنه كبير ويحتمل كل الأشجار

عجزوا حشا حيش الملا يشبعونه

نَجَرْ شداده تسعة آلاف نجار

وعجزوا نجاجير الملا ينجرونه

فرد عليه عبد العزيز العبيدي بأن وصف «سبع» رأسه من حديد وجنبيه من بالود يتمكن من أكل الجمل بسهولة . . يقول :

الله يا سبعٍ يذكّر بالأقطار

سبعٍ يهوّل طافحاتٍ سنونه

نابين بالمشرق وناب بالأمصار

تناوشه بالناب وأعمى عيونه

كَلَ الجمل وأقفى ولا كن شن صار

صريخه اللي بالسما يسمعونه

رأسه حديد والظهر خلق من نار

وجنوبه البالود ما يقدرونه

* * *

من صد عني له الطاروق خليته

من حكايات التحجير الطريفة ، والتي تبين نبل رجال البادية أيضا ، هذه الحكاية . . وقد جرت لرجل يدعى محمد بن حجي - من الصهبة من قبيلة مطير - كان قام بالتحجير على ابنة عمه حسب العادة ، وهو أولى بها من غيره .

وفي أحد الأيام جاءه رجل من جماعته يدعى بدر بن جهبل ، وتوسل له أن يتنازل عن ابنة عمه لرغبة الرجل بالزواج منها ، ولكرم أخلاق محمد بن حجي وتقديرا منه للرجل تنازل بالفعل عن ابنة عمه وذلك نادرا ما يحدث .

وتم زواج الرجل من الفتاة ، إلا أنها بعد فترة تغيرت عليه ، ولم تعد تحبه ، وأخيرا هربت منه . . فما كان من الرجل إلا أن لجأ إلى ابن عمها - محمد - لكي يتوسط له بارجاعها ، إلا أن محمد لم يفعل ، فقد تنازل في المرة الأولى وذلك كاف . . وأنشد هذه الأبيات الطريفة :

اللي بغى مني الطلاب مضيته
حاجتك يا بدر يلزمني قضياها

عنزت لك لين رأس الحبل شديته
واليوم ما نيب جامعك انت وياها

ان افترقتوا عسى فرقا الى الميته
وان اجتمعتوا لعلك ما تعداها

من صد عني له الطاروق خليته
عيب على اللي بنات الناس يبلاها

عندي خبر يوم رأس الرجم عديته
يوم ان عينك تطالع في رعاياها

* * *

ما يدفي إلاّ الثوب فوقه عباة

رقية السعد الصالحي ، شاعرة عاشت في بلدة «الرس» وتوفيت سنة ١٣٥٥هـ رحمها الله .

جاءها رجل من بلدتها يدعى محمدالفانوش يطلب منها أن تكتب قصيدة مدح في أمير

الجوف آنذاك عساف الحسين ، لأمر مهم من وجهة نظره ، إذ كان يريد من وراء القصيدة (عباءة) تقيه برد الشتاء الذي لم يعد جسده قادراً على احتماله . . فقالت رقية على لسانه :

يا راكب من فوق سمح الذراعين

عملية من نقوة الموجفاتي

ما فوقه إلا الخرج وشداده الزين

فوقه نديبي ما يضيع وصاتي

ملفاك شغموم من اللي مسمين

يومي لهتاش الخلا بالعباة

يا نعم به وان جو من البعد عانين

وشفيهم عقب السرى يابساتي

يذبح لهم كبشٍ ويعطي نبا زين

مع دلتين دايمٍ مركياتي

إلى ثوروا من عند بابه مقفين

يدعون له بالعز هو والثباتي

يا عم يا عساف قط أنت ناسين

وأشفيت يالله لاتكف الشفاتي

يا بو حسين الثوب ما هو مدفين

ما يدفي إلا الثوب فوقه عباة

فلما وصلت القصيدة إلى الأمير عساف الحسين قام بارسال العباءة إلى الفانوش .

* * *

العجوز أم سنين

هذا الشاعر حمد محمد العوض ، ولد في أوائل القرن الثالث عشر وكانت وفاته رحمه الله عام ١٣٦٧هـ . كان مزاولا مهنة الفلاحة ، وكان في مزرعته قد عانى من «الجرذان» فصيلة من الفئران البرية التي أتلفت المحاصيل .

فقال يصف معركة حامية الوطيس دارت رحاها بينه وبين هذه الجرذان :

يا عنك ما زرع العوض موفي الدين

مير الله اللي يوفي الدين عنّا

ترى إن زكى زرع العوض جا . . ثلاثين

وإلا فعشرينٍ ولا فيه منّا

زرعٍ قرى خمسة جراذي . . وفرقين

وجند حضب بالزرع منا ومنا

وتواعدوا بالجرف بين العشاوين

ودلاّ يثور الكون منهم ومنا

صحنا . . وصاحوا للعجوز أم سنين

وصحنا لكبتنا وهن صيحنا

اللي كسرنا بالمعارة ثمانين

هذا طريح وذاك رايح يونا

شفتوا كسرناهم ، وحنّا شويّين

وعادات ربعي دفعة الجمع عنا

جـــــاني هـلابـيٍّ يـهـــــــوزن بـفـــــــــرديـن
ودلـيـت أهـوزه بـالـعـــــــصــــــــا ويـتـــــــشـنـى

* * *

الهرش يمشي على هونه!

هذا الشاعر علي محمد العلولاء ، ولد في «الرس» سنة ١٣٠٨هـ وقد عمر في السن إلى أن توفي سنة ١٤٠٣هـ رحمه الله .

حدث أن «ابله» ضاعت في أحد الأيام ، فركب جمله «الهرش» يبحث عنها في الصحارى والقفار الواسعة وهو مهموم على فقدها . ومما زاد همومه أن جمله مع ما كان عليه من كبر في السن فقد كان هزيلا لدرجة أن مواصلة البحث أصبحت عملية صعبة وشاقة . . فقال يلوم الجمل :

مـــــا حـــــالـتـك حـــــالـة الـدوّار
الـلي مـــــا هـو فـــــوق مـــــامـــــونـه
ذواهـبـــــــــه مـــــا لـهـن ذكـــــــــار
والـــلـيـل قـــــــــد حـــــــــال مـن دونـه
واوجـس بـكـبـــــــدي تـقـل فـــــــرفـــــــار
والـــهـــــــــــــــرش يمـشـي عـلـى هـونـه
الـى ضـــــــربـتـــــــه تـقـل منـشـــــــار
بـالـرعـي يـا مـــــــال طـاعـــــــونـه

لكنه لم يشأ أن يمضي لومه هكذا ، بل أعطى فرصة للجمل أن يدافع عن نفسه . . لذلك

قال على لسانه :

أنا وحميدين يالمكّار

والسبب ياعلي وش هوله؟

إن كان بلّك لها ذكار

فالجري مني تشوفونه

وان كان زعلٍ تبي مجمار

وفنجال شاهي تسوونه

نوّخ وحوّل وشب النار

وكلٍ يعبّي بماعونه

وقال يلوم «دحيم» وهو أحد جيرانه ، كان طرد إبله التي أرادت الشرب من بئره . . ويذكره بأنهم لابد وأن يفترقوا كما حدث مع جيرانهم السابقين الذين ذكرهم بالاسم . . يقول :

دحيم عيّا عن شراب البعارين

يقول بلّك يشربن كل مانا

يا دحيم ما هو حق بين القصيرين

ياسرع ما يذكر حدينا . . حدانا

شف دوك ابن فواز ريف المجيعين

هو وأبو خالد من خيار قصرانا

راحوا وخلونا وحنا مقيمين

نركض ولا ندري عن اللي ورانا

صـــــويـلـح الـلـي بـالمودة مـــــصـــــافين

مـــا زل يـوم إن مـــا نصـــيـــتــــه نـصـــانا

وحـــــمـــــاد عــــدٍ مـــــا يوصّف عـلى شين

ومع ذا قــــرمٍ إن نـخــــيـــتــــه شــــفــــانا

* * *

دقوا القاع

في سنوات الفوضى ، في السابق ، حدث أن أخذت إبل أهل الزلفي ، فهبوا لمطاردة الغزاة ، وبفضل من الله تعالى استردوا الإبل .

وعند عودتهم التفتوا إلى بعضهم بعضاً ، وتبادلوا الأحاديث حول رغبتهم بأداء العرضة النجدية المعروفة ، بمناسبة انتصارهم ، لكن ما جعلهم يترددون هو خشيتهم من كبار سن معهم ورجال متدينين . . فبقوا حائرين . . ماذا يفعلون؟ !

وكان أمير الزلفي آنذاك ، وهو قائدهم أثناء تخليص الإبل من الغزاة ، المرحوم عبد الرحمن بن عطا الله .

فقال الشاعر محمد العلي العمار : أنا استأذن لكم من الأمير .

فتقدم أمام الجيش ، ونزل عن راحلته ، وأخذ يهز العصا بيده متغنيا :

يا مـــــيــــرنا جـــــعل الســــفـــــاير فـــالك

لـعل عـــمــــرك مــــا تجـــيـــه الســـيـــــه

المال مـــــالك والعــــيـــــال عــــيــــالك

نـبـي نـدق الـقــــــــاع بـس شــــــــويـه

مــــادام مـــــا يـزهـب لـنـا فـنـجــــــالـك

نـبي نـدق الخــــد بـالحـــمـــضـــيـــه

لا جــــا نـهـــــار الـضــــيـق من يـبـــــرالـك

يـــا بـــو عـــطـــا الـــلـــه حـــط بـــه مـــــــاريـــه

فانتشى ابو عطا الله «وانطنخ» رحمه الله ، وقال :

- «أنا ابو عطا الله دقوا القاع» !

فنزل الشيب والشباب ، ولعبوا العرضة الحماسية حتى طابت خواطرهم .

* * *

تفصال نوره!

ذات مرة أهدى الشيخ مبارك الصباح (أسد الجزيرة) قطعة قماش إلى صديقه الشاعر المعروف حمد المغلوث . فأخذها الشاعر إلى منزله وأعطاها إلى احدى النساء من عائلته ، وهي كبيرة في السن تدعى نورة ، وطلب منها أن تخيط ثوبا له من القماش .

لكن المرأة أفسدت كل شيء عندما فصلت القماش بصورة لا تناسب جسم الشاعر ، وخسر بذلك قطعة القماش الثمينة . . فقال مواسياً نفسه :

يـــا زيـن تـفـــــصـــــــالـك يـا نـوره

ســــــويـتـي غـــــــايـة مـطـلـوبـي

حـطيـــــــتي طـولـه فـي عـــــرضـــــه

نـاقـص شـــــبــــر عـن عـــــرقــــوبي

* * *

نية قشرا

كانت المياه شحيحة في الكويت بالوقت السابق .

وهذا رجل اسمه خلف من سكان الشامية ، احدى مناطق الكويت ، كان عنده بئر (قليب) ولشدة حرصه كان يقوم بتغطيته بأعشاب وما شابه من أجل اخفائها عن الناس !

فجاءه شخص اسمه ابن عويشر ، فنصحه بأن يدع الناس يشربون من البئر لأن له بذلك أجر ، وبين له خطأ تغطيتها لأنه يمكن أن يقع أحد بها . فكان رد خلف بأنه يريد من يأتي أن يقع بالبئر ! فلما كان هذا رأيه تركه ابن عويشر .

ثم لم يمض وقت طويل إلا وسمع الناس فجأة أصواتا تستنجد وتستغيث ، فلما اجتمعوا . . فإذا خلف وخادمه وحماره سقطوا بالبئر ، فأخرجهم الناس ، وقال ابن عويشر هذه الأبيات :

يا خلف جارك الله يا زبون الونيه

أمرٍ أجراه رب العرش والحكم بيده

يا خلف ليه يوم إنك تطم الهبيه

أنت غلطان ما ثمنت حق البديده

يا خلف قلت شغلك بهذا خطيه

قلت أنا ودي اللي يجيها تصيده

يا خلف أنت ناوي في جماعتك نيه

ومن نوى النيه القشرا تصير بوريده

* * *

خليف والشيخ ساجر

أعتقد أن هذه الحكاية محزنة أكثر مما هي طريفة ، وربما تنطبق عليها مقولة شر البلية ما يضحك .

فالشيخ ساجر الرفدي - الفارس المعروف - حل عليه شاب اسمه خليف ، شاكيا من تقصير جماعته وتركه بعد أن رحلوا عنه . فواساه الشيخ بأن أنزله عنده ، وأعطاه ما يحتاجه ، وكان مع خليف هذا أمه .

ومن صفات خليف أنه كان متسرعا في تصرفاته .

وفي أحد الأيام ، ذهب الشيخ ساجر للقنص ، فأخذ خليف معه ، وأثناء الرحلة ظهرت أرنب فأرسل خلفها كلبه المدرب (سلوقي) . . وبينما الكلب يطاردها أراد خليف أن يقتل الأرنب فأخطأها وأصاب الكلب فقتله .

في هذه الأثناء ، قفزت أرنب ثانية ، فأرسل الشيخ ساجر صقره ، لكن خليف تعجل وأراد أن يقتلها فقتل الصقر .

فكظم الشيخ غيظه ، ورجع صامتا في حال من الضيق ، وكان الوقت قبيل الغروب ، وهم في شهر رمضان ، فأراد أن يجهز القهوة فلم يجد من البن ما يكفيه إلا لعمل دلة واحدة ، وحين فتش عن الدخان لم يجد إلا القليل الذي يكفيه هذه المرة . فقام بوضع الدخان في الغليون (السبيل) وهيئه على جانب من النار وشرع في إعداد القهوة ، فلما جهزت وضعها في الدلة بجانب النار وجلس منتظرا موعد الإفطار .

أما خليف ، فلما رجع وأخبر أمه بقتله السلوقي والصقر ، وعرفت أمه فداحة ما اقترف ، بخاصة وأن السلوقي والصقر في ذلك الوقت لهما مكانة عظيمة ، فالقنص كان من مصادر الرزق وليس مجرد هواية كما هو اليوم ، لذلك طلبت منه أمه أن يسرع ليعتذر من الشيخ ويقبل رأسه طالبا الصفح منه .

فجاء خليف . . وحين أصبح قريبا من الشيخ أسرع بخطاه ليقبله ، فداس على الغليون وكسره ، دون أن يدري ، فلما أحس بذلك رجع فركل الدلة بقدمه وسكب ما بها !

عندها صاح الشيخ ساجر وهو يكاد ينفجر من الغيظ :

- «وش سويت يا خليف؟ . . قتلت الكلب والصقر . . وكسرت السبيل . . وكفيت الدلة»؟ !

ثم أن الشيخ طلب منه أن يأخذ من الحلال ما يشاء ويرحل هو وأمه . وقد قال يصف ما حدث من مواقف بهذه القصيدة :

البــــارحـــــة بالـليل مـــا تـريـد حـــالي
قـــضـــيت أنـا ليلي حـــزيـن ومـــحـــتــــار

مــصــيــبــة مـــا شـــفــتـــهـــا بالليـــالي
يـا تـقـل يـوقـــد بـالـضـــمـــايـر لـهـب نـار

من صـــرت أنا مـــا شـــفــتـــهـــا ولا جـــرالي
أربـع مـــصـــايـب لـو عـنّي مـن الجـــار

الأولـه حـطـاب يـعـــادل عـــيـــالي
أشـــقـــر عـــديم ولأبـرق الريـش نـثـــار

والـثـــانيـــة خـطاف مـــا لـه مـــثـــالي
شـــره عـلى تـيـس الجـــمـــيـلة لـيـــا نـار

والـثـــالـثـــة عـــمـلت بـأصـــغـــر دلالي
وقـــصـــرتهـــا وفـــاحـت عـلى بن وبـهـــار

والرابعة بالعظم تتن الشمالي

وأفلست منها حين حزات الأفطار

يا ليت جتني قوم وأفنت حلالي

وأصبر على عسر الليالي والأعزار

من صرت أنا مهزابة للرجالى

وكم واحد هدمت بيته على النار

والعمر يفنى وآخره للزوالي

والحظ يلقى عند حصات الأوبار

ما شفت يوم خليف قليل والي

من خلقة البدوان ما مثلها صار

* * *

شبيب ما سوّى به الورد حيله

الشاعر سليمان الطويل - من أهل شقرا - من مشاهير الشعراء في عصره . يروى عنه ، أن رجلا يدعى (شبيب) وهو جزار ، كان يطالبه بمبلغ سبع ريالات فرنسية ثمن لحم كان اشتراه الطويل منه .

وكان سليمان الطويل لضيق ذات يده يتهرب من شبيب ، حتى حاصره ذات مرة في المسجد ، فما كان منه إلا أن أطال في صلاته ، لعل شبيب يشعر بالملل فيغادر المسجد ، لكن شبيب تشبث بهذه الفرصة ولن يفوتها .

فلما تعب الطويل من القيام والجلوس في صلاته ، أسند ظهره إلى عمود في المسجد وأخذ

يسبح ويقرأ ورده .

فجاء إليه شبيب غاضباً وهو يقول :

- «يا سليمان أعطني حقي» .

فالتفت إليه سليمان وقال له :

- «يا شبيب هذا ما هو وقت مطالبة ، لكن إذا جاء الضحى تعالي لي بالبيت أو الدكان ، وأعطيك حقّك» .

وعند الضحى جاء إليه شبيب قائلا :

- «يا سليمان أنا أدري إنك قايل في شعر ، لكن لك علي كل ضيف يجيك تأخذ أيدامه (أي لحم) ببلاش» .

لكن سليمان رد عليه :

- «يا شبيب إما ثلاثة بيوت قلتها فيك فهي ظاهرة للناس ، وغيرها ماني قايل شيء» !

والأبيات الثلاثة هي :

صليت في الجامع وسبحت تسعين
مع مثلهن اتبعتهن تهليله
قريت عما والمدثر وياسين
وزبنت ربٍ ما يفاجى دخيله
قريت وردي عن جميع الشياطين
وشبيب ما سوَّى به الورد حيله

* * *

خل عنك الحاشي

يذكر أن شابا تقدم لخطبة فتاة من أمها ، والأم هذه كان زوجها متوفي وهي ولية الأمر . فلما رأت الأم ما يتمتع به هذا الشاب من وسامة ، أرادته لنفسها . . حيث ألقت على مسامعه هذا البيت تعرض نفسها بدلا من ابنتها :

دوّر لشـــــداك عــــــرمسٍ تســــــري بـه

كـب الـظـلام وخـل عـنـك الحـــــــاشـي

الشداد يوضع على الناقة ، والحاشي ولد الناقة الصغير ، ومقصدها واضح . فلما كانت الفتاة تسمع ما قالته أمها . . غضبت وقالت ترد عليها بصوت مرتفع :

عـليك بـعــــشبٍ مــــا تلاحـق نبـــتــــه

وش لـك بـعــــشب فــــعّـــــــوه (الـناسـي) !

خــيــــرا الشــــرايا حــــقّـــةٍ ولقــيّـــه

والفـــاطر أقــشــر مــــا شـــرا القــمـــاشي

فخجلت الأم . . وزوجت ابنتها للشاب .

الخلا الخالي

هذا الشاعر دحيان الفحيط المطرفي ، ولد في احدى ضواحي «الرس» سنة ١٣٠٠هـ . وكان منذ طفولته على قدر كبير من الذكاء والنباهة وحدة البصر . فلما أصبح شابا قدم له أهالي بلدة «صبيح» القريبة من الرس عرضا وظيفياً لا يخلو من ظرافة رغم أهميته . فقد اتفقوا

معه أن يكون (رقيبه) أي مسؤولا عن رصد أي تحركات من الأعداء القادمين إلى بلدتهم في ذلك الوقت حيث الحروب والغزوات ، حيث يحصل نظير ذلك على أجرة سنوية عبارة عن جزء بسيط من المحاصيل الزراعية .

ولما كان عمله يقوم على الوقوف في الصحراء بعيدا عن الأهالي يترقب أي قادم لينذر به ، حيث لا يرى أحدا يؤنس وحدته . . فقد قال :

كـل يـومٍ بـأم طـاقـــــــــيــــــة
واتـضــــــيّـع بـالخـــــــلا الخـــــــالـي
لا صـــــــديـق ولا ســـــمـــــاريـه
كـــــود رب الـعـــــرش يـصـــــخـى لـي

* * *

منين؟!

هذا الشاعر سعود الدخيل العواد ، قام برحلة للتنزه مع بعض أصدقائه ، فقال لأحدهم : هات كذا ، يذكر له شيئا . فأجابه : «منين»؟ . . أخذ يكررها عدة مرات .

فالتفت فإذا بقية أصحابه كسالى ، يريدون منه أن يقوم بكل شيء . . فقال :

أوي والـلـه خـــبـــرةٍ مـــســـتـــعـــدة
مـــحـــمـــد الـوزنـة ومـــتـــروك ومـنـين
لـو أنـت فـــوق مـكـســرات الأشـــده
تـشـــيـب مـــا جـــمـــعت منهم ولا اثـنـين

ويقال . . إنه كان عنده نخل ، غرسه جديد ، فرأى أنه بين فترة وأخرى يموت منه جزء . . فقال :

يا حظي اللي مثل حظ الحميدي

ثلاث هيش ورابع الملك كاروب

بالليل يسقي وبالقوايل يزيدي

غربه قفص وارشاه سلك من الشوب

* * *

أحزان نوره!

كانت الأحزان قد اشتدت بإحداهن وتدعى «نوره» بعد أن توفي زوجها ، وأخذت ترثيه حزنا على فراقه بأبيات تؤكد من خلالها أنها دفنت الحب إلى غير رجعة ، ولا رغبة لها بالزواج من بعده . . تقول :

يا ناس بعت الود ما لي هوى فيه

مير احفروا للود تسعين قامه

شفي على اللي يوم أحلي توازيه

تقول ريمٍ ظاهر من عدامه

أما أختها فكانت أكثر واقعية ، حين أخذت الأمور بعيدا عن الانفعال العاطفي ، وأشارت إلى أن الحي أبقى من الميت - كما يقال - وأنها لن تترك الزواج إذا توفي زوجها مادامت على قيد الحياة :

إن كان يا نوره هوى الناس عفتيه

لومك عليك سواة ناثر ايدامه

الود قسمي فيه والله ما اخليه

مادام رأسي ما عدته العمامه

* * *

تهيّض المسكين!

محمد العبدالله الباتل ، رجل من ذوي الأخلاق الحميدة ، وهو رغم شاعريته انصرف للتجارة ودائما يكون في الخارج . . وبقيت أبياته حصرا على المناسبات العابرة .

قال يداعب عبد الرحمن الصالح العصيمي ، ملقبا إياه بالشيخ ، عندما سمعه يغني :

الشـــيخ شـــيخ ولا علـى الشـــيخ منقـــود

مـــا هـوب شـــيخ العـلم ، شـــيخٍ ولـيـــده

شـــاف البـكار اللـي مـــواليـف وقـــعـــود

تـهـــيض المسكين ربـي عـــضـــيـــده

يا قـــو صـــبـر الشـيخ . . والصـبـر مـحـمـود

والعـــاقـبـــه جـعـله من الله حـمـيـــده

ان شـــال لـه صـــوتين مـــا فـــيـــه منقـــود

الحـــال نشّـت مـــثـل عـــود الجـــريده

مـــادام حـــمـــر وبيض ومـــخـــالطه ســود

مـــا احـــد يـلومـــه يوم شـــال النشـــيـــده

وكانا على متن الطائرة ذات مرة ، مسافرين إلى لندن . . فقال محمد :

الـشــــيـخ طـوح ثـلاث أصـــــوات

ومـن عـــقـــبـــهـــا جـــر لـه ونـه

تذكر الشيخ وقت فات

يوم الغنادير مرنه

تذكر الحب واللذات

والقوس ومرودع الشنه

دنيا مضت ما بها رجعات

والوقت يجري بلا منه

فرد عليه عبد الرحمن :

يوم انت في طورق التجرات

وانته تبيعه ويشرنه

يا ما جرالك من الليعات

يوم الصبا شايلٍ فنه

ياالله يا غافر الزلات

يا خالق النار والجنه

اليا وصل هادم اللذات

تجعل وفاتي على السنه

وفي أحد الأيام جاء رجل إلى محمد العبدالله الباتل ، في طلب حاجة هامة ، فما كان من محمد إلا أن هب لمساعدته . . لما عرف به من نبل وشهامة . وأمام هذا الموقف النبيل قال الرجل :

- يا محمد ليس عندي شيئا يستحق أن أكافئك به إلا ابنتي هذه أقدمها لك زوجة على سنة الله ورسوله .

فقال محمد : تم .

لكن ما إن مضت عدة أيام ، إلا وبلغ محمد الخبر بأن الرجل قام بتزويج ابنته إلى شخص آخر اسمه عبدالله .

فقال محمد مداعبا الرجل :

يا خـــوي كـــانك عطيت البنت عـــبـــدالـلـه
مـــــا ريـد شـــــوفـك ولا تـاقـف عـلـى بـابـي

يا حـــيـــســـفـــا خـــاب ظني فـــيك عـــز الله
وانـا احـــسـب انـك الـيــــا مـن قـلـت تـنـهـــابـي

تـرى بـنـات الحـــمـــايل مـــا بـهـــا قـلـه
كلٍ علـى رغـــبـــتـــه يـخــتـــار الأنـســـابـي

* * *

حشية عرعير

كان عند أحد رجال البادية خادمة ولها طفل صغير ، وفي أحد الأيام عادت من المرعى لغرض ما في غير موعدها . . فوجدت في البيت رجلاً عند زوجة عمّها ، فعادت أدراجها مسرعة .

إلا أن الزوجة اعتقدت أن الخادمة سوف تخبر زوجها ، فلما عاد ألحت عليه أن يبيع الخادمة وتحججت بأنها لم تعد تنفع للعمل .

وكان أن سرى الرجل ليلا بالخادمة ليبيعها صبيحة اليوم التالي ، وأبقى على ولدها ، وهي في شبه صدمة لا تعرف ما الخبر؟ ! . . فلما رأت البرق اهتاضت وقالت :

كـــــريم يا بـرقٍ ســــبـــــقنا عـلـى أهـلـنـا

جــــعـلـه عـلـى دار الـغـــــــــريـر يـلـوح

لا عـــــــوّد الـلـه نـكـســــتـي من رعــــيـــــتـي

يـومٍ نـكـسـت أبـغـي غـــــــدا وصـــــبــــــــوح

مــــا يـســـتــــوي طفـلـين . . طـفـلٍ عـلـى أمــــه

وطـفـلٍ ايـعــــــــاجي مــــــــا بـقـى لـه روح

مــا يسـتــــوي غـــرسين . . غـــرسٍ مــــهــمّـل

وغـــــرس عـلـى عـــــيـــــدٍ ومـــــاه يفــــوح

ولا يســـــتـــــوي رجـلـين . . رجـلٍ عـلـى الـشــــقـــــا

ورجـلٍ عـلـى جـــــال الـفـــــــراش ســــــدوح

يـا ويـلـنـا مـن طـبــــــة الـســــــوق بـاكـــــــر

هـــــذا يـــــــــــــــاومــــــني وذاك يـــروح

فبدا الأمر واضحا للرجل . . حيث رجع بها وتركها عند راحلته ، وتسلل إلى بيته ، فشاهد بأم عينه ما أشارت إليه . فقتل الرجل ووضعه في عدل من ضمن عفش المرأة بعد أن طلقها .

فسألها أهلها عن هذا العدل ، فقالت من هول المصيبة : هذا (حشيّة عرعير) ، فصارت هذه العبارة مثلا عند الناس .

فلما تبين لأهلها خيانتها ربطوها بين جملين ، فراحت نصفين وذلك لحرصهم للبعد عن العار .

* * *

قلوب ذهينة

من طرائف نساء البادية ، أن احداهن عند زوج كثير الزواج ، يأخذ هذه ويطلقها ليتزوج بأخرى وهكذا . . إلا زوجته الأولى - صاحبة القصة - لها تقدير ومكانة . ولما رأت حاله ، قالت :

- أنت تتزوج بناء على وصف ربما لا يطابق الحقيقة ، ومادام الأمر كذلك ، لا تخسر أموالك ، ودعني أخطب لك . على الأقل حين أصف لك امرأة ستجد أنها تماما كما وصفتها لك .

وسارت الأمور كما اتفقا . لكن المرأة سئمت من هذا الرجل وهي ترى دأبه على الزواج بغيرها وتمنت لو طلقها .

وفي أحد الأيام - كعادتها - ذهبت لتخطب له . . فلما وصلت وجدت الفتاة التي جاءت من أجلها ولم تجد أمها ولا أخواتها . . فقالت لها هذه الأبيات :

يا بنت ودي ما ردي تاردينه

عدٍ عليه الورد ما هم بيبطون

الما قراح وصافيٍ تشتهينه

مير الطبيعة عضو ما دونها دون

وأكثر بني زيدٍ تجالوا قطينه

زانت لهم لعلهم ما يديمون

الرمز يكفي للقلوب الذهينه

والصدق نور . . وراعي الكذب ممهون

صدقت المرأة هذه الفتاة بأن زوجها ميسور الحال وعشرته طيبة . . إلا أن دأبه على الطلاق طبيعة لا تتغير .

* * *

ما وراء رفعه عزيمة!

بعد أن أحس بالجوع والعطش وأنهكه طول المسير ، رأى الشاعر (زيد بن غيام) أحد البيوت ، وحينما أقبل تلقاه صاحب البيت بالترحيب لمعرفة بينهما واحتفى به . وكالعادة فإن أول قرى الضيف هي القهوة ، وقام صاحب البيت وأوصى زوجته بأن تطبخ أفضل ما عندها من طعام لما لابن غيام من مكانة عنده ، ثم عاد واستأذن من ابن غيام لشأن يقضيه ويعود .

أما الزوجة فقد طبخت (جريش) وهو ما عندها ، ولم تتقن طبخه ! وحينما قدمته لابن غيام تركت طفلها الصغير يأكل معه ! فأخذ الطفل يعبث بالطعام حتى أفسد على ابن غيام رغبته بالأكل رغم الجوع الذي هو عليه ، فلم يجد إلا أن يقول :

ما تردَّى مير خانت به حريمه

ما تريّض لين يقضى لي غدايه

حط لي لقمة جريش الله يديمه

ما عليه ايدام يلصق في حشايه

انهبه والورع ينفذ في بريمه

واغداي الشين ، واخيبة رجايه

خابرينٍ ما ورا رفعه عزيمه

ما تثورها العصى فيها خلايه

* * *

خوف وتصرف

لا يخفى على أحد ما دأب عليه (بصري الوضيحي) الشاعر المعروف . . من افتتان بالجميلات من النساء ، ومغامراته التي فضح بعضها شعره ، والبعض الآخر يرددها الكثيرون كقصص غريبة ومعقدة .

فالمعروف أن بصري الوضيحي إذا سمع عن امرأة جميلة ، ابتكر الحيل والأساليب الماكرة ليقف بنفسه على صحة ما ذكر له . وهكذا يمر في أحداث غريبة أحيانا وطريقة أحيانا أخرى ، وغالبا ما يتخلص منها بحسن تصرفه ودهائه .

قال يصف ما جرى له في مغامرة من مغامراته الليلة الماضية :

البارحة يوم أول الليل بمراح
سريت للي كالللوالو عذابه

قالت : تنزح لا ارهج الجو بصياح
ماني من اللي بالردى ينهقى به

قمت اتبطح له واديره بالأمزاح
لان الحبيب وقام يضحك بنابه

ودخلت بالثوب الحمر زين الأرياح
وقعدت لين الصبح بين سرابه

وقالت : تنزح يا ولد فج الأصباح
مار الله . . الله سدّنا والحزابه

قلت : آمني يا عين خشف إلى ضاح

ماني من اللي بالردى ينهقى به !

ماني ولد نذلٍ على السد بياح

اللي ليا قفى عشيره حكى به

ولم يفطن (بصري) إلى أخ الفتاة ، الذي كان معهم في المجلس ، وقد داخله الشك وبدأ ينظر إلى بصري بنظرة وراءها ما وراءها . . بسبب أن أخته هي الوحيدة التي تلبس ثوبا أحمر . . فاستدرك بصري و أكمل قصيدته :

علمي بهم بالصيف يوم الحيا طاح

واليوم مدري وين ربي دوابه

مدري مع اللي سندوا يم الأسياح

والا مع اللي حدروا يم طابه

فنجا بصري من شر كان سيواجهه عندما ذكر أن الأمر كان حدث في أول الصيف .

* * *

مثل كنب اليهود

الشاعر الكبير أحمد الناصر الشايع - أطال الله في عمره - شاعر غني عن التعريف ، له باع طويل في شعر المحاورة ، وساجل كبار الشعراء . وكان صدر له ديوان شعر (نسمات الربيع) ويغلب على قصائده طابع الغزل .

ومن قصائده التي تتضمن طرافة الموقف ، ولم يضمها ديوانه ، أنه سافر مرة من الرياض ومعه صديق اسمه (عبد العزيز) وفي ذلك الوقت لم تكن الطرق معبدة كما هي الآن .

فتعطلت السيارة في الوحل ، وكان يوما ممطرا ، فتلوثت ملابس شاعرنا . . فقال :

سفرةٍ لعلها يا عزّيز ما تعود

بين خزه والخناصر قعدنا ليلتين

موترٍ مشيه لك الله مثل بول القعود

دايمٍ يرجع ورا . . يا معين الصابرين

ان بغى الجودا ردا البنك رده لا يجود

وان مشى ساعة وقف يا عزّيز ساعتين

مع صلاب الحزم يمشي وكنه في نفود

جعلها الله للقرافه وحنّا سالمين

البساتن والكرنكات جملة والعمود

جعلهن يخبّطن من يسار ومن يمين

ثم أشوفه في عيوني مثل كنب اليهود

واقفٍ تسفي عليه السوافي كل حين

ويغمر السيل روضة (السبلة) بالزلفي ، فيذهب شاعرنا إلى الزرع (البعل) ومعه جماعة . . فينال منه التعب ويقول (من ضيقة البال) :

عسى يوم أطرّي للبعل غير هالنوبه

عسى الرجل للشاغي من الورك للعرقوب

وأنا تبت من طاري البعل ياالله التوبه

وهذي تكفّر كان باقي علي ذنوب

وفي السنة الثانية ، ذهب لقطع الأعشاب ، فقال في قصيدة أطول من ذلك :

ترى حـــالة الكلب الهـــمل حـــالة الحـــشـــاش

نـهـــاره نكـد والليل بـخـــيـــاط خـلقـــانـه

والى جـــيت قـــشـــه تلقـى الإبرة مع المنقـــاش

جـــمـــيع اللذاذة عـــاقبٍ شـــأنهـــا شـــانه

أخـــبـــر الـولد مـــا هـوب يزمـل مـن المطـراش

يـكـفخ ســـواة الـطـيـــر بأطـراف جـنحـــانـه

* * *

لومي على اللي صقّرك

أثناء جلوس الشاعر المشهور عبدالله بن ربيعة في «قهوة النجادا» بالزبير ، دخل خادم - أسمر اللون - وبيده صقر . فنصب وكر الصقر ولما وضعه لم يبرقعه ، فكان أن نفر الصقر وأخذ يصفق بجناحيه ، فارتبك الخادم وقام فغمه بعباءته ، وبعد جهد استطاع أن يبرقع الصقر ولكن بعد أن تناثر شيء من ريشه .

هذا الخادم لم يألف الاعتناء بالطيور لأن خدمته تقتصر على صب الماء وتقديم البشاكير أي المناديل في ولائم عمه .

وهو ما جعل الشاعر عبدالله بن ربيعه يضحك من حاله هذه . . ويقول هذه الأبيات :

نطيت من شـــيـل الغـــسـل والبـــشـــاكـــيـــر

وإلاّك صـــــقـــــريٍّ تـروم الـصـــــقـــــاره

لـومي عـلى اللي صـــقّـــرك يا صنيـــفـــيـــر

لـومي عـلى اللي صـــقّـــرك يـا خـــســـاره

الطيــــــر يبـــــغي لـه رياســـــة وتصــــقـــــيــــر
مــــا هـو تـزهـلـج بـرقــــــعـــــــه مـع شـكـاره

* * *

أول تهلي هلا يا عبيد

الشاعر عبيد الشريعيب . . واحد من الشعراء الكبار ، إلا أن جل قصائده لم تدون وذهبت مع النسيان ، باستثناء بعض «الأحديات» التي حفظتها كتب التراث .

حدث أن فتاة صغيرة من جماعته توفي أهلها ، ولم يبق لها أحد أقرب منه ، فأخذها عنده مع أبنائه ، ورعاها ، ومرت السنوات ، فلما بلغت الفتاة سن الخامسة عشرة تقريبا فإذا هي ذات حسن وجمال .

فحدث نفسه بأن يتزوجها ، ولما استقر رأيه على هذا الأمر فكر بأن يذهب إلى أحد الشيوخ من «الجربا» ليطلبه عددا من الإبل مهر هذه البنت .

وفي أثناء غيبته عند الشيخ ، التي استمرت شهرا تقريبا ، كانت زوجته قد علمت بما هو عازم عليه . . ولأن النساء لا يغلبن في الدهاء ، فإنها جمعت أخوانها في غيابه وطلبت منهم أن يساعدوها في تزويج ابنها الأكبر من هذه الفتاة .

فقام أخوال الفتى بشؤون حفل الزفاف ، وتزوجت الفتاة بالابن ، وكانت تنادي أباه من قبل : يا عبيد ، والآن فإنه أصبح عمها . . والد زوجها .

وبعد ذلك عاد عبيد الشريعيب ، بالإبل وهو يمني نفسه بالزواج ، فلما وصل كان للصدفة أول من استقبله هي الفتاة ، فرحبت به : هلا يا عمي ، فاستغرب من مقولتها . . ولما تكشفت الأمور عرف أن ابنه تزوجها بخطة من أمه . . فقال نادباً حظه :

الـزين قـــــفي جـــــــميلة صـــــيـــــد
واعــلــتـي واكـــــــبـــــــر هـــمـي
أول تــهــلـي هــلا يــا عـــــبـــــيـــــد
والـيــــوم يا مـــــرحــــبــــا عــــمـي

* * *

ذبحت ربعنا من العطش

أراد أحد البدو أن يختبر مقدرة رفيقه على معرفة الطرق أي إن كان «دليلة» بحق أم لا . وكانا في سفر لأمر ما ويتعين عليهما أن يرجعا من نفس طريقهما هذا بعد يومين .

فطلب منه أن يثبت قدرته بالدليل ، فقام الثاني بأخذ بيضة نعامة - ربما - ووضعها تحت شجرة . وأكملا مسيرهما .

فلما رجعا بعد يومين ، وكان الوقت منتصف الليل عندما اقتربا من المكان الذي يعتقدان وجود البيضة فيه .

قال الأول : «هاه . . يا فلان وين البيضة»؟ !

فقال الثاني : «بعد شوي» .

وبعد بضعة أمتار توقف ، وكان الظلام دامسا ، لا يكاد الواحد يرى راحة يده ، إلا أنه رفع رمحه وركزه في الأرض قائلا :

- «البيضة تحت سن الرمح» !

فلما نزلا من راحلتيهما ، وجدا الرمح على بعد «شبرين» عن البيضة ، أي تقريبا عشرين سنتمترا !

فصاح الأول مولولا :

- «يا ويلي . . يا فلان ذبحت ربعنا من العطش» !

يقصد أن الرمح ابتعد عن موضع البيضة . ومعنى هذا أن الثاني لو كان دليل جماعته إلى مورد ماء فسوف يضل بهم الطريق ، طالما لم يأت رمحه فوق البيضة . . وفي هذا الظلام الحالك !

ترى هل يوجد انسان في وقتنا هذا أدل من ذلك الرجل؟ ! . . لا أعتقد ، بل حتى أن المخترعات الآلية بعضها يضل أو لا يعطي النتائج المطلوبة عند وجود الغيوم والأمطار أو الغبار ، وفي الظلام .

* * *

مجبور يا سبتي!

هذا مثل معروف بين الناس ، يضرب لمن يرغم على فعل ما على غير ارادته .

وقصة المثل طريفة . . وقديمة أيضا ، حيث جرت في أيام البادية ، وهي حول رجل لا يعرف عن أصله شيئا ، إلا أنه جاء على حماره وجاور قوما من البادية ، وقد بنى «القطبة» أي بيت الشعر ذي العمود الواحد الذي يدل على قلة ذات اليد وتواضع الحال .

وكان في مجاورته لهؤلاء القوم معززا مكرماً ، كعادة أهل البادية بالاحتفاء بضيوفهم والذين يجاورونهم وما شابه .

ولكن هذا الرجل كان يخفي سرا لم يطلع عليه أحد ، فقد كانت ديانته يهودية ، وإن كان لسانه عربيا ولباسه وهيئته مثلهم . . وعاش معهم لا يعرفون شيئا عن حقيقته .

وحدث في فترة ما . . أن عزم هؤلاء القوم على الرحيل ابتغاء أرض ذات ربيع وافر ،

يصلح لمواشيهم وحلالهم . . فلما طويت البيوت والكل مشغول بالاستعداد والتأهب للمغادرة ، كما جرت العادة ، فإذا بالرجل قد لزم خيمته ولم يخرج منها .

فعجبوا من أمره ، وأرسلوا له من يخبره بعزمهم على الرحيل وأنه يجب عليه أن يرحل معهم ، ورغم ذلك فقد أصر على عدم مغادرة خيمته ورفضه للرحيل .

فاحتاروا في شأنه ، بخاصة وأنهم لا يستطيعون الرحيل عنه ، لأن هذا أمر معيب في أعراف أهل البادية ، وليس في مقدورهم البقاء في أرض قاحلة والربيع أمامهم وربما يسبقهم قوم آخرون إليه .

فتصدى للأمر بعض الشباب الأقوياء ، حيث طلبوا من قومهم البدء بالتحرك ، وسوف يتولون الأمر .

وبالفعل حملوه على حماره مقيداً وهم ما بين المزح والجد ، وطووا بيته بسرعة البرق ولحقوا بقومهم .

أما هو فكان يلتفت بأسى وتأسف إلى مكان بيته قائلا :

- «مجبور يا سبتي» !

فكان ظاهر قوله اعتذاره لرجل اسمه سبتي . واسم «سبتي» دارج عند أهل البادية والحاضرة أيضا .

أما حقيقة الأمر . . فإن رحيل هؤلاء القوم صادف يوم السبت وفي عقيدته اليهودية الباطلة ، أخزاه الله ، يحرم عليه فعل أمور منها الرحيل في هذا اليوم . فكان هذا سبب امتناعه عن الرحيل في هذا اليوم . وهذا معنى قوله : «مجبور يا سبتي» فهو يعتذر من يوم السبت لأنه أرغم على الرحيل .

* * *

التوفيق على النية

بينما كان أحد البدو يسير على قدميه يريد بلدة مجاورة ، صادف في طريقه رجلا على جمل يحمل غلال تمر .

فعرض عليه الأخير أن يحمله معه ، فشكر له موقفه النبيل ، وركب رديفا له على الجمل .

فانتبه البدوي إلى أن الخرج محمل في الناحية اليمنى بالتمر ، وفي الناحية الأخرى يحمل حجارة تعادل التمر بالوزن !

فاستغرب . . وسأل الرجل عن شأنه ، وعن سبب وضع الحجارة بالخرج ، فأجاب الرجل :

- «أنا أتاجر بالتمر ، وإذا حطيت التمر في جهة يطيح ، فأحط حجارة بالجهة الثانية تعادل وزن التمر حتى لا يطيح على الأرض !» .

فقال له البدوي :

- «ياخوي . . لو رميت الحجارة ، ترى ما لها داعي ، وقسمت كمية التمر على الجانبين ، أخف على الجمل المسكين اللي يا الله يقدر على المشي سبة هالثقل» .

فأعجب الرجل بالفكرة ، ونفذها بسرعة ، فقد رمى الحجارة وقسم التمر على الجانبين ، ولما رأى جمله صار يمشي بخفة ونشاط ، التفت إلى البدوي وسأله :

- «ما شاء الله . . أنت رجل فطن ، وش تشتغل؟ . . وش عندك من المال؟» .

فأجاب البدوي :

- «والله ما عندي شيء ، وهذا أنا أتنقل من بلدة إلى بلدة أدور على شغل ولاني لاقي» !

عندها انتفض الرجل قائلا :

- «ليا صار هذا حالك ، لازم تفارقني الحين ، وأنا يمكن الله تعالى موفقني على نيتي ، ورازقني وأنا ما عندي ذكاء وفطنة» .

فلما مضى البدوي يمشي على قدميه ، التفت فإذا الرجل يجمع الحجارة التي ألقاها ليرجعها على وضعها كما كانت .

فسبحان الله . . هذا رجل ذكي ليس لديه ما يملكه من المال . . والآخر على قلة عقله لديه أموال وتجارات . . وصدق محمد القاضي حين قال في الدنيا :

كم خـيّـر مـا نال منهـا سـؤالـه
وكم ثور هور ساعفت له بالأقبال

وكم عاقلٍ به حاذقٍ رأس ماله
عقله . . وكم بهلول عقلٍ جمع مال

* * *

ضاعت هالسنة!

هذا أحدهم لا تخلو ظرافته من شيء من الحمق ربما . ضاعت بعض «إبله» وظل يبحث عنها عاما كاملا دون فائدة ، فلم يعثر لها على أثر .

فلما كان العام التالي فقد إبلا أخرى ، فشعر بالسخط والغضب الشديد لحظه العاثر ، فضياع الإبل ليس بالأمر الهين عند صاحبها .

فقام يبحث عنها ومعه والده . . وبعد طول بحث ، كانت سعادة والده غامرة عندما رأى الإبل الضائعة ، فصاح على ابنه :

- «يا فلان . . ابشر ، لقينا البعارين ، هذي البعارين» .

فأجابه الابن :

- «خلّها عنك يا يبا . . هذي ضاعت السنة ، ما لها بطا ، وحنّا ندوّر على اللي ضاعت العام الماضي» ! !

* * *

سلامات يا بو حرفيش

اعتاد أحد «الشياب» أن يعلق على بعض الأمور والمواقف التي تحدث أمامه ، بمقولة «سلامات يا بو حرفيش» . . دون أن يعرف أحد المقصود منها .

فسئل في أحد الأيام عن حكاية أبي حرفيش هذا؟ فأجاب :

بينما كان أبو حرفيش يقود بعيره في أحد الأيام ، إذ مر من جانب أحد البيوت ، فانطلقت رصاصة أصابت البعير الذي خر على أثرها ميتاً .

فكانت مصيبة على «أبو حرفيش» الذي نادى على أهل البيت ليعرف السبب الذي من أجله قتل بعيره؟ !

فخرجت عجوز مسنة من البيت ، تعرفه ، وهي تقول : (سلامات . . سلامات يا بو حرفيش ، هذا ولدنا فلان ما هو صاحي ، والله إنه يبيها فيك لكن أخطأك وأصاب الجمل) ! !

عندها ولى أبو حرفيش هاربا . . لما عرف الأمر ، وهو يخشى أن تأتيه طلقة ثانية !

* * *

دلفينة بدوي!

في حياة البادية ، حيث الصحارى واسعة مترامية الأطراف ، يكون برد الشتاء قارسا شديد الوطأة . ورغم وجود بيوت الشعر كواقٍ من البرد إلا أن الرجال غالبا ما يكونون خارجها في

أكثر الأحيان ، فهم إما عند «الحلال» في المراعي أو حسب شؤونهم . وحتى النار التي باستطاعتهم ايقادها لمواجهة شدة البرد لا يجدون الفراغ الذي يسمح لهم بالبقاء كل الوقت جلوسا أمام دفئها .

لذلك كان الحل الأفضل للتغلب على البرد هو ارتداء الملابس الثقيلة الدافئة . وهذا ما كان من شأن أحدهم . . حين اشتد برد الشتاء ، فقد ارتدى ثوبين ، وفوقهما بالطو (جاكيت) وفوق ذلك (دلفينة) هكذا يسمونها . . وهي تشبه الجاكيت تحاك من وبر الإبل ، ورغم خشونتها إلا أنها الأكثر دفئا بين هذه الملابس . . وبالطبع لابد من الفروة فوق هذا كله .

واستمر هذا الرجل طيلة فترة الشتاء على هذه الحال ، فلما بدأ البرد يخف تدريجيا ، وأخذ العشب يزهو مع بداية فصل الربيع ، والسماء تزدان بالسحب التي تخفي الشمس تارة ، وتظهر الشمس من ورائها تارة أخرى .

جلس صاحبنا في وقت الضحى ، ذات يوم ، في المرعى مع صاحب له ، والأغنام من حولهما ، وكان يوما دافئا مشمسا . . وهو يتكيء على شجرة .

وبينما يتبادلان الأحاديث ، أحس بوخزة في أعلى ظهره تحت رقبته قليلا ، فقال : آخ . . ومد يده إلى حيث موضع الألم فإذا به يجد عقربا صفراء صغيرة ، فرماها على الأرض وضربها بعصا بيده .

ثم عاد إلى حديثه مع صاحبه . . ولم يكد يمضي قليل من الوقت إلا وصرخ ثانية : آآآخ . . فلما مد يده إلى نفس الموضع وجد عقربا ثانية تشبه أختها . فرماها أيضا . وأراد أن يكمل حديثه .

إلا أن صاحبه قام واقفاً وقال له :

- «يا فلان . . الظاهر إن بك بلا . . قم انزع ملابسك» !

فنزع فروته . . وبعد تفتيشها لم يجد شيئا ، فنزع البشت فما وجد شيئا ، والبالطو كذلك . فلما فتشا (الدلفينة) كانت المفاجأة !

فقد وجدا عقربا سوداء كبيرة ! . . لا يعرفان منذ متى انحشرت في هذا الموضع بين الملابس ، ومع سبع عقارب صغيرة منها الأثنتان اللتان قتلهما ، حيث كان من الواضح أنها وجدت هذا المكان الدافيء ملائما لوضع بيضها !

والغريب أن صاحبنا لا يدري عنها شيئا ، وهو يقوم ويمشي ويجلس وينام كل هذه المدة !

* * *

كيف تأكل حمامي؟

أحمد عبد الوهاب الخميس ، توفي في حادث سيارة قبل أن يبلغ العشرين عاما من عمره ، رحمه الله .

قال هذه القصيدة الظريفة ، هجاء في قط شن هجوماً على حماماته ، فأكل منهن تسعا ، من السمان غاليات الثمن ، مما أثار غضب الشاعر أحمد الخميس ، فقال رحمه الله :

يا هر يا اللي ما علومه جميله
أكلك وشربك من حرام بحرامي

أنت الجبان اللي حياتك ذليله
ما بك شجاعة يا خسيس المقامي

وقت السفر ما لك بالأسواق زيله
وتظهر إلى غطى عليك الظلامي

ما غير تهرف في البلد كل ليله
وتسلب وتنهب والخلايق نيامي

ما فكّهم منك الحصون الطويلة
لو كان دونك ناطحات الغمامي

ما شفت يوكل . . من محله تشيله

لو كان مالك حاجةٍ بالطعامي

حتى اللبن لازم تحاول صميله

وتحرص على نشره بكل اهتمامي

حب الفسق طبعك ولا فيك حيله

طبعٍ ورثته من خوال وعمامي

السرق ما يمكن تخلي سبيله

والله حسيبك كيف تأكل حمامي؟!

تسعٍ سمانٍ ما بهن الهزيله

والجوز منهن بالثلاثه يسامي

ومن الدجاج أذهبت صفرا جليله

وديكٍ ينادي بالدجى للقيامي

نسل دجاجٍ ما يعرف الطبيله

ما كنه إلا من سلايل نعامي

هي رأس مالي والموارد قليله

واعدمتهن عني عساك العدامي

غير الرجا في الرب مالي وسيله

ما نيب تاجر، يا قليل الرحامي

اشكي على اللي ما يخيب عميله

فردٍ صمد من لاذ ما يضامي

وان عـــــاش رأسـي لـعـــــتـــــبـي لـك بـكـيـلـه

فـي شـــــوزنٍ تـفــــــري صـلـيـب الـعـظـامـي

اذبـحـك وابـرد مـن ضـــمـــيـــري غـلـيـلـه

مـن شـــــان عـــــيـنـي تـهـــــتـنـي بـالمـنـامـي

راعـي الخـطـأ يـجـــــزى عـلـيـــــه بمـثـــــيـلـه

ومـن عـــــال يـبـــــشـــــر بـالـعـنـا والـنـدامـي

* * *

على رأس سنام

فقد أحد البدو «حوار» له ، وكان قضى يومه كله يبحث عنه ، حتى داهمه الظلام فعاد أدراجه محملا بخيبة الأمل لعدم عثوره على «الحوار» ، وما ناله من تعب دون جدوى .

وهو لا يدري بما حدث في غيابه !

فقد كانت امرأته على علاقة بأحدهم ، ولما كانت تعلم بأنه سيتأخر في العودة ، لأن «الحوار» لابد أن يكون قطع مسافة طويلة ، لذلك أرسلت إلى عشيقها الذي جاء مسرعا . . وقضيا يوما سعيدا ، مرت ساعاته كأنها لحظات .

ولما اقترب الزوج من بيت الشعر ، كانا في قمة السعادة والنشوة . . فسمع زوجته تقول لعشيقها :

- كيف تشعر الآن؟

فأجابها العشيق :

- أشعر وكأني على رأس «سنام» لسعادتي !

وعاد العشيق يسألها :

- وأنت كيف تشعرين؟

فأجابته :

- كأنني على رأس «طمية» لما أحس به من سعادة !

عندها أطل الزوج عليهما برأسه من وراء «الرواق» وقد اجتمعت عليه المصائب . . من ضياع «الحوار» ، وما هو به من تعب وجوع وعطش ، وأخيرا لما وجد زوجته عليه . . فقال :

- «يا شينين ما شفتوا لي حوار ضايع بينكم»؟ !

* سنام وطمية جبلان . . تقول الخرافة أنهما زوجان اختلفا فافترقا ، حيث طميه في شمال المملكة العربية وسنام في مكانه على حدود الكويت الشمالية مع العراق .

* * *

يوم أنت بالدكه

النساء دائما أرق عاطفة فيما يتعلق بالقصائد الوجدانية ، وكذلك أكثر ظرفاً حين يتعلق الأمر بالمواقف الطريفة .

هذه امرأة ، قيل أنها زنت ، فأتوا بها إلى أحد الأمراء في البادية ، فأمر بها أن ترجم . فلما سار بها الرجال لينفذوا الأمر . . قالت :

- «رجعوني للأمير . . عندي كلمة أبا قولها» .

فلما رجعت عند الأمير قالت له بصوت خافت لا تريد أن يسمعها غيره من الحاضرين :

يا مـــير والله توبةٍ ثم توبة

ولو أنت تصلح كان ما تفسد الناس

الله علم باللي تفرشت ثوبه

يوم انت بالدكة تقل عين قرناس

فخشي الأمير من الفضيحة . . وأمر أن يطلق سراحها .

* * *

كرم وبخل

وحصلت مفاخرة بين امرأتين حول زوجيهما ، فقالت أحداهما تعيّر الثانية ببخل زوجها وتتباهى بأن زوجها كريم . . تقول :

زوجي ليا جاه اللحم عقب يومين

شبعت طويسات العرب ما درا به

وزوجك ليا جاه اللحم عقب دورين

يقعد على قدره يحسب حسابه

* * *

أخو طفلة

هذا رجل جاء من البادية ، قصده سوق احدى القرى ، وبينما هو يمشي في طرقات القرية ، كانت هناك فتاة ترش الماء أمام بيتهم . . ففوجىء بها ، ولخجله أدار وجهه بسرعة للجهة الأخرى وهو يقول : أنا أخو طفلة ! فقالت له الفتاة الحضرية :

منين جيتونا على الدرب عانين

وش جابكم للحضر يا خي طفلة؟

فقال :

جـــينا علـى قـبٍ ســـواة الـشـــيـــاهـين
الـقـــــــفـل زاويـهـن ســــــــواة الأهـلـه

فقالت :

هـو لـك حـلـيـلٍ مــــثل مــــا شـــفـت بالـعـين
وان كـــان من مـــال العـــرب فـــاســـتـــحـله

فأجابها :

حليلـتي مـــثل الـقـــمــــر بـين ســـبـــتين
أســـوق فـــيـــهـــا دق مـــالـي وجلـه

فقالت :

ريّـض وازيّـن لـك ردون الـســــــبـــــاهـين
وكـــان انت عـــجـــلانٍ فـــيـــا مـــار شـله
وان قـــــــمـت وسـط بـلادنـا وقـم يـومـين
تشـــوف مـــا لا شـــفـت بالـعـــمـــر كـله

فقال :

البـــدو لا جـــوا ديـرة الحـــضـــر عـــجلين
رجـــــالـهـم كـنـه عـلـى جـــــال مـلـه

وقد تركها وانصرف . ويقال أن هذا الرجل هو الشاعر الذي تضرب الأمثال بوسامته

ادريس الصالح الشمري وهو الأقرب للصحيح رغم أن هناك من يقول أنه المريبض العتيبي .

* * *

هذا رأس الذيب!

محسن الهزاني ، الشاعر المشهور ، عرف بقصائده العاطفية التي نسجت حولها روايات كثيرة ، بعضها يحمل من الغرابة ما هو أكثر .

قيل أنه لما رزق بمولود صبي ، خشي عليه منذ صغره أن يفتن بالنساء ، فجعله في حجرة بالبيت ، وأغلق دونه الباب فلا يخرج ولا تدخل عليه سوى أمه بالطعام والشراب . وكانت حريصة على قفل الباب من ورائها حين تخرج .

واستمر الأمر بهذه الصورة حتى كبر الفتى ، وبلغ مبلغ الرجال ، وربما نسيت الأم الباب مفتوحا في أحد الأيام ، فخرج من الحجرة ، ليجد أمه تمشط فتاة من بنات جيرانهم ، وكانت الفتاة جميلة ، فلما شاهدها استغرب لأنه لم ير سوى أمه وأبيه ، فقال :

- «هذي وش هي يا يمه»؟ !

فقالت أمه وكان قصدها اخافته :

- «يا ويلك . . هذا رأس الذيب» !

فلم يتكلم بشيء ، ولكنه عاد إلى غرفته وكأنه يحدث نفسه بشيء ، فلما دخل عليه والده محسن الهزاني فيما بعد ، وجده ينشد :

الذيب ما له قذلةٍ هلهلية
ولا له ثمان مفلجاتٍ معاذيب
والذيب ما يمشط بالعنبريه
لا واهني من مرقده في حشى الذيب

فلما عرف محسن الهزاني أن الأمر خرج من يده ، وأن الفتى عرف طريق الغي . أرسله إلى شيخ القرية ليعلمه القراءة والكتابة . فكان أول ما سأله الشيخ عن معرفته بحروف الهجاء . فأجاب الفتى بأن والده علمه الحروف كلها .

فقال له الشيخ : قل ألف . فقال :

ألــفٍ ولــيــف الــروح قـــــــــبــل أمــس زرنــاه

غـــــروٍ يسلي عن جـــمـــيـع المعـــانـي

قال الشيخ : قل باء . فقال :

البـــاء بقلبي شـــيّـــد القـــصـــر مـــبناه

وادعى مـــبـــاني غـــيـــرهم مـــرمـــهـــاني

قال : قل تاء . فقال :

التـــــاء تــرانــي كــل مـــا اوحـــــيت طــريـاه

أفــــز لــو حـلــو الـكــرى قــــد غـــشـــاني

قال : قل ثاء . فقال :

الثــــاء ثـلـوم الـقـلـب مـــحـــدٍ بيـــرفـــاه

إلا أن خـلـي مـن عـــــذابـه ســـــقـــاني

فقال الشيخ :

- «كافي . . كافي . . أنت من علمك هالكلام»؟ !

فقال : والدي !

فعرف الشيخ أن محسن الهزاني هو السبب بما وصل إليه ولده ، فقال للفتى :

- «رح لأبوك وقل له إنك ختمت ، وما تحتاج تعليم» !!

* * *

رآها فمات عشقاً!

حل رجلان من الحضر ضيفين على رجل من البادية ، وكان «شايب» كبيرا في السن ، لا يستطيع أن يقوم بكل متطلبات خدمتهما . وكانت زوجته شابة تتولى القيام بكل شؤون البيت .

فلما جلس عنده الضيفان كانت المرأة تدخل عليهما بالقهوة والعشاء ، فلما رآها أحدهما أعجب بها ، وكان يعتقد أنها ابنة هذا الرجل «الشايب» لذلك لم يحتمل شغفه بجمالها فخطبها من «الشايب» بنفس اللحظة .

وقد ضحك «الشايب» من موقفه ، وبكل عفوية ونقاء سريرة أوضح له بأن هذه زوجته وليست ابنته .

أما الرجل فإنه لما خرج قال هذه الأبيات :

ثوّرت من ديرة رقـيـه قـعـودي

والعصر أنا ما بين الأطعاس مدنيه

ومن ولفها دلاّ يحن الجهودي

وعلى رقيه ينثر الدمع راعيه

خشمه ذباب مصقلات الهنودي

وخديد قرطاسٍ بيد من يطويه

وعـــيـــون يـخـلـفـن الـعـــشـــاشـــيـق . . ســـــودي

ومـــبـــيـــسمٍ ســـبـــحـــان رب مـــســـويـه

ودّك حـلـيـلـه مـن بـعـــــوض الـفـــــهـــــودي

مـــا هـوب عـــودٍ مـــصـنـقـــات عـــلابـيـــه

لا يا فـــــهـــــد شـــفـــتـــــه لـيـــال الـورودي

شـيءٍ يـزيـغ الـعـــقـل مـــحـــدٍ بـقـــاويـه

ويقال أنه توجد عليها طويلا . . حتى مات بسبب رؤيته لها في تلك المرة !

* * *

يترب شبابه!

كانت شهرة الشاعر صقر النصافي قد بلغت الآفاق في وقته ، وانتشرت قصائده بالذات الغزلية منها . . الأمر الذي جعل احدى الفتيات تمني النفس برؤيته .

وفي احدى حفلات الأعراس ، حيث يقوم الرجال - كالعادة - بادخال المعرس ، أخذت هذه الفتاة ، بعد أن سمعت بأن صقر النصافي مع هؤلاء الرجال ، تسأل أمها بلهفة :

- «وين صقر . . وريني إياه» !

فلما أرتها أمها صقرا ، وكان وقتها قد كبر في السن ، بينما الفتاة التي تعلقت بقصائده الرقيقة تتخيله شابا ، ولم تتصور بأنه «شايب» فقالت لصدمتها :

- «يترب شبابه» ! أي شبابه للتراب .

فشاء الله أن تقع الكلمة في أذن صقر ، الذي سمعها فأجاب على القول بسرعة :

يا بنت لا يتـــرب شــــبــــابي ولا بيك

يتــرب شـبـــاب اللي يحطك حــبـيـبــه

عــــيـــا ازرار الثــــوب يلحق عـــــلابيك

منتـــفـــخـــة كنك صــمـــيل الرويبـــه

وكانت الفتاة بدينة . أما أمها لما سمعت قول صقر النصافي فقد أخذت تتوسل إليه أن يتوقف قائلة :

- «تكفى لا تكمل يا صقر . . والله إن ما حدٍ يأخذها» !

* * *

ازبن بعمري على ضاري

هذه (عيدة) فتاة عفيفة وعلى قدر كبير من الجمال . خطبها من والدها فقير الحال ، رجل طاعن في السن من عشيرة (السواري) فوافق والدها على تزويجها بمقابل خمسين مجيدي - عملة متداولة آنذاك - وخمسين ناقة وضحاء من الإبل .

فلما علمت (عيدة) بالموضوع حاولت الرفض وتوسلت إلى والدها ألا يجبرها على هذه الزيجة . ولما لم تفلح محاولاتها قامت بإنشاد هذه القصيدة التي أرسلتها إلى الشيخ ضاري بن طوالة تقول :

تـــل قـــلـــبـــي تـــلـــة الـــقـــــــــــــــاري

تـــلـــه الـــهـــنـــدي بـــتـــــــــســـنـــيـــــــــده

لا تحــــــــرك كــنــه الجــــــــاري

آخـــــذ المكتــــــوب من ســــيــــــده

وازبـن بـعـــــمـــــري عـلـى ضـــــاري

جـــــيـــــزة الـشـــــيـــــاب مـــــا ريـده

شـــــايـب خـــــرفـــــان وســـــواري

قـــــامـص عـــــقـلـه يـبـي عـــــيـــــده

كـــــان أخـــــو صـلـفـــــة بـنـا داري

مـــــا يـتـــــشـــــاثا عـن مـــــواعـــــيـــــده

وبالفعل حين سمع الشيخ ضاري بالقصيدة جاء من منازله البعيدة . وأعطى والدها بدلا من الخمسين مجيدي مائة بشرط أن يترك لها حرية الاختيار . فوافق والدها .

وكانت الفتاة تحب ابن عمها فسعى الشيخ ضاري للجمع بينهما وتم له ما أراد .

* * *

* * *

البدو الظرفاء

مواقف طريفة من واقع الحياة

القسم الثاني

أهل الوانيتات

الوانيتات مفردها وانيت . . سيارة النقل المعروفة .

وعبارة «أهل الوانيتات» تطلق على أصحاب سيارة الوانيت الذين يقومون باستخدامها لنقل الركاب وتحميل البضائع والأغراض الثقيلة وما شابه ، وذلك نظير مقابل مادي بالأجرة ، وهي بالمناسبة خدمة غير مشروعة قانونيا ، لأن هذا النوع من السيارات مخصص للاستخدام الشخصي ، بينما هناك أنواع أخرى من المركبات تقوم بهذا الدور ، ومرخص لها بذلك مثل سيارات التاكسي وسيارات نقل البضائع . لذلك تجد أصحاب الوانيتات في خوف دائم من سيارات المرور ! وهؤلاء حقيقة لا يقدمون على مثل هذه الوسيلة إلا تحت وطأة العوز الشديد والحاجة المادية فيضطرون لنقل الركاب بصورة مخالفة لأنهم غالبا ما يكونون ضعفاء ولا يجدون أو يحسنون أي عمل آخر .

ولو استعرضنا المواقف التي يتعرض لها «أهل الوانيتات» لخرجنا بحصيلة وافرة من الحكايات الطريفة والظريفة .

* * *

ما أبي أموت!

يقول أحد سوّاق الوانيت : في يوم قائظ ، شديد الحرارة ، بينما كنت أفتش في الشوارع عن راكب يلوح لي بيده ، حيث كان جيبي خاليا تماما من أي مبلغ . . فإذا بي أرى في الجهة الأخرى من الشارع الخالي من السيارات رجلا يمشي ، وربما لشدة فرحي برؤيته خيل إليّ أنه أشار بيده لأقف وأوصله إلى مكان ما . وبسبب شدة فرحي - أيضا - لم أتمالك نفسي عندما عبرت الشارع بالعرض مختصرا بذلك الوصول إليه بأسرع ما يمكن خشية أن يسبقني أحد إليه رغم خلو الشارع من المارة والسيارات .

وفجأة رأيت الرجل يهرب مني وهو يصيح : ما أبي أموت ! . . فقد كان يعتقد بأني عبرت

الشارع لأصدمه ، بينما كنت مصرا على اللحاق به لأهدىء من روعه ، ولأبين له بأن ما يحدث مجرد عرض خدمات !

الطريف في الأمر . . أن المشروع - كما يحدثنا السائق - فشل لأن الرجل من الأساس لم يطلب من السائق التوقف ، ولأن المكان الذي يقصده كان قريبا جدا لا يحتاج إلى وانيت .

* * *

ظنون خاطئة

أحد أصحاب الوانيتات يقول : أكثر الناس الذين أتحاشى نقلهم هم المراهقون ، بسبب أنهم يبتكرون أساليب في الحيل والخداع للتهرب من دفع الأجرة ، فهم عادة لا يملكون ثمن الأجرة المتفق عليه .

يقول : وفي إحدى المرات اضطررت إلى نقل اثنين من المراهقين ، طلبا توصيلهما من السوق إلى منطقة سكنهما . فلما حملتهما كنت في غاية الحذر والانتباه ، لكن بعد مرور فترة وجيزة اكتشفت خطأ ظنوني ، فهما في غاية الطيبة وأحاديثهما شيقة وظريفة ، لدرجة إني استمتعت بها ولم انتبه إلى وصولنا للمكان المطلوب إلا عندما طلب مني أحدهما أن أتوقف عند آخر الشارع .

لكن الثاني قاطعه طالبا مني الاستمرار والتوقف عند مدخل الشارع الثاني !

ورغم إن المسألة تبدو عادية . . إلا أنه فجأة ارتفعت أصواتهما ، وأخذ كل واحد يلوم الآخر ، ويدعي أحدهما بأن الآخر فقط يريد أن يمشي كلامه ، والثاني يرد عليه بأنه لا يعرف الصح من الخطأ . وفي غمضة عين . . اشتد الخلاف ، وتبادلا الضرب ، ونزلت من السيارة ، ونزلا - أيضا - بطريقة تنبىء عن معركة دامية !

وفجأة . . حدث ما لم يكن في الحسبان .

فقد هربا . . كل واحد في اتجاه ! . . فوقفت في غاية الذهول والاندهاش لدرجة أني لم

أعرف ماذا أفعل؟ . . وكيف أتصرف؟ . . وأنا أنظر لهما وهما يختفيان بين البيوت !

* * *

العاشقان

توقف أحد أصحاب الوانيتات لرجل وامرأة من الجنسية الآسيوية ، طلبا منه أن يقلهما إلى منطقة يستغرق الوصول إليها الساعة والنصف من الوقت ، فكان فرحا لبعد المسافة لأنه كلما ابتعدت المسافة زادت قيمة الأجرة . وقد وافقا على المبلغ الذي طلبه .

فلما أخذا مكانهما على المقعد الخلفي ، هز صاحب الوانيت رأسه مستغربا لجلوس الرجل مع المرأة بدل أن يجلس معه في المقعد الأمامي ، ثم حدث نفسه بأن هؤلاء الآسيويين ليس عندهم عادات وتقاليد مثلنا أهل البادية . لذلك لم يهتم بوجوده أو بمحادثته بل ركز نظره إلى الأمام وسرح في خيالاته .

لكنه بعد فترة انتبه أن لا صوت للراكبين معه . فلما نظر في المرآة لم ير خلفه أحدا ! . . فالتفت بحركة سريعة ليفاجأ بمنظر لم يتوقعه ، بل ربما لم ير مثله على الطبيعة أبدا . فقد كانا قد اضطجعا وهما في حال عناق وقبلات !

فغلى الدم في رأس صاحب الوانيت الذي اعتبر الأمر اهانة له ! . . فأوقف السيارة ونزل بـ «العقال» . . وأخذ يطارد الرجل الذي كان يتلقى لسعات العقال على ظهره ، وهو هارب تتدافع الصرخات والكلمات من فمه . . ربما يحاول أن يشرح بأن هذا الفعل طبيعي في بلده أو شيئا من هذا القبيل !

* * *

نصف دينار

أشارت احدى السيدات إلى صاحب وانيت بالتوقف ، وطلبت منه أن يوصلها إلى مكان . . واتفقت معه على أجرة قيمتها نصف دينار . فلما وصلت إلى المكان الذي تقصده ،

طلبت منه الانتظار ، حيث مكثت لحظات لتعود إليه ، فطلبت منه توصيلها إلى مكان آخر على أن تكون الأجرة نصف دينار آخر تدفعه إليه . فقبل الرجل ، فهو ليس وراءه شيء وكان الوقت صباحا .

وعند المكان الثاني طلبت منه المرأة - أيضا - الانتظار ، فلما عادت إليه طلبت مكانا ثالثا بنفس قيمة الأجرة ، وهكذا كانت تنتقل من مكان إلى آخر ، وكلما ركبت معه سألته كم بلغ أجرك؟ حيث أن الأجر يزيد نصف دينار في كل مرة ، حسب الاتفاق .

وفي المرة الأخيرة . . وكان الوقت صار ظهرا ، وقد بلغت أجرته عشرة دنانير ، اعتذرت منه المرأة بلطف لأنها أتعبته طيلة النهار ، ورجته أن يتوقف عند أحد المطاعم كآخر مكان تتوقف عنده قبل أن يوصلها إلى بيتها . . وقد عللت ذلك بكثرة مشاويرها لهذا اليوم وتريد أن تأخذ طعام الغداء فلا وقت عندها لصنعه في البيت .

فلما نزلت إلى المطعم ، وشعر بالضجر من طول الانتظار ، نزل ليستفسر عن سبب تأخرها . . فلما دخل المطعم التفت يمينا وشمالا فلم يجدها ، وحين سأل «الكاشير» عن المرأة ، أجابه :

نعم . . قبل قليل دخلت ، وخرجت من الباب الثاني . . وأشار إلى الجهة الأخرى من المطعم !

* * *

سائق الشاحنة

إلى ما قبل عشرين سنة ، كان هناك أناس بسطاء يسكنون في بيوت الشعر ، في صحراء الكويت بعيدا عن المناطق العمرانية ، وهم يعتمدون في معيشتهم على تربية الأغنام ، وبعض أبنائهم يقوم برعي أغنام غيرهم من ميسوري الحال ، وقد تجد منهم أسراً يعمل أبناؤها موظفين في دوائر حكومية وبرواتب جيدة ومع ذلك لم يفارقوا حياة البر .

يقول أحد سواق الوانيتات متذكرا :

«حدث في أحد الأيام أن طلب مني شاب من أبناء هؤلاء الناس ، أن أوصله من سوق في منطقة الجهراء ، حيث كنت أقف بالوانيت ، إلى أهله في البر ، بر الروضتين ، ولما كان المبلغ جيدا وافقت شرط أن لا يكون أهله بعيدين عن الطريق العام ، الممهد . فأكد لي أنهم بجانب الطريق بالضبط ، ما جعلني أشترط عليه عدم نزولي بالسيارة إلى الطريق الترابي ، بل أقف على الطريق العام ويمضي هو ماشياً مادام أن أهله قريبون من الطريق لهذه الدرجة . فاتفقنا على ذلك» .

ويكمل صاحبنا :

«كان الوقت بعد العصر عندما تحركنا ، ونحن نتبادل الأحاديث الشيقة عن حياة البر والحلال والعشب . فلما وصلنا . . أشار إلى يمين الطريق قائلا :

- «شوف هذولا أهلي ، ما هم بعيدين ، مثل ما قلت لك ، فالمسافة أقل من كيلومتر واحد» !

فقلت :

- «لا . . أنت قلت أنهم بجانب الطريق ، واشترطت عليك إنك تنزل هنا» .

فأخذ يحاول أن يقنعني بأن المسافة قصيرة وأنا مصر على شرطي الأساسي .

وما هي إلا لحظات حتى اشتبكنا في معركة حامية ، نتبادل الضربات واللكمات ، ويرفعني سماء ويضرب بي الأرض ، وأرفعه سماء وأضرب به الأرض ، وقد ارتفع الغبار من حولنا . . ونحن بين الطريقين ، إلى أن غربت الشمس .

كان التعب والإنهاك قد أخذ مني ومنه كل مأخذ ، والغريب أن السيارات تمر من اليمين والشمال دون أن يتوقف أحد ليفرق بيننا .

والحقيقة أن كل واحد منا يريد أن يكف الآخر عنه ، لشدة ما أصابنا من جروح وآلام

وتعب ، لكن المسألة كبرت في نفس كل واحد منا .

وبعد فترة توقف سائق شاحنة عراقي ، وكنا متماسكين بضعف ولكن كل واحد شد على صاحبه حتى يبدو أنه الأقوى ! . . فلما جاءنا السائق لم يكلمنا ، بل أخذ رأس كل واحد منا وضربه بالآخر . فشعرنا بالأرض تدور بنا . . وقال بلهجة صارمة :

- «أنا دايم أمر من هنا . . إذا شفتكم مرة ثانية تشوفون شسوي ، يالله قوموا» !

وتركنا وذهب .

ومرت لحظات كل واحد منا مستلقي على ظهره لا يكلم الآخر ، حتى استعدت أنفاسي ، فقلت لصاحبي كلاما يبدو أنه آخر ما كان يتوقعه :

- «وين أهلك؟» . فأشار إلى أحد بيوت الشعر .

فقلت :

- «عندكم شاي»؟

فقال :

- «شاي مخدر على جروم الرمث . . على كيفك» !

فذهبت معه . . واغتسلنا ، وشربنا الشاي ، ومن بعده عشاء لم أذق ألذ منه حتى يومنا هذا .

وكانت بداية صداقة مع هذا الشاب الذي أصبح وكأنه واحد من أخواني حتى هذا اليوم .

* * *

واحد محظوظ

أغرب ما حدث لأحد أصحاب الوانيتات - كما يروي - أن شابا طلب منه أن يوصله من منطقة الجهراء إلى جوازات السالمي ، فطلب منه مبلغ عشرة دنانير ، قيمة الأجرة المعتادة لمثل

هذه المسافة .

لكن الشاب أخبره أنه لا يملك إلا خمسة دنانير فقط .

فاعتذر صاحب الوانيت نظرا لأن المسافة طويلة .

فعاد الشاب يقول له بأنه محظوظ ، وأنه لو أقله فسوف يجد راكبا آخراً يعوض النقص في المبلغ وما عليه إلا أن يجرب !

فكأن السائق اقتنع بذلاقة لسان الشاب ، فوافق ، فلما صار عند منطقة الأطراف أشار له راكب آخر يريد جوازات السالمي ، فطلب منه بسرعة مبلغ خمسة دنانير ، فركب الرجل فرحا بهذا المبلغ الزهيد !

وطوال الطريق كان الشاب ينظر إلى سائق الوانيت ويبتسم ! . . وسائق الوانيت يتساءل في نفسه عن سر ابتسامته ، هل لأنه صدق توقعه بوجود راكب آخر أكمل المبلغ إلى عشرة؟ . . أم لأنه لم يطلب مبلغ عشرة دنانير من الراكب الثاني؟ !

* * *

الميت طلع لسانه وغمز!

حكاية صاحبنا هذا تبدو ضربا من الخيال ، رغم أنها واقعة حقيقية حسب ما يرويها أحد أقاربه نقلا عنه .

فقد اعتاد هذا الرجل ، على فترات زمنية متباعدة ، أن يخرج من بلدته ، بسيارته طبعا ، متوجها إلى منطقة بعيد إلى حد ما لمتابعة وإنجاز أموره التجارية .

وكان في منتصف الطريق تقريبا يمر ببلدة صغيرة ، عبارة عن بيوت قليلة ، إلا أنه بجانب الشارع عندما يمر بها محطة بنزين وبعض المحلات ، فكان الرجل متعود أن يملأ سيارته بالوقود من هذه المحطة . . وأحيانا يعرج على بعض هذه المحلات ليشتري بعض الأشياء التي يحتاجها .

وفي احدى المرات عندما عبأ سيارته بالوقود ، وبينما يهم بالتوقف أمام أحد المحلات . . شاهد مجموعة من الرجال يحملون نعشا لمتوفي ، فنزل من سيارته دون تفكير ومشى في جنازة هذا الميت .

كان الذين يحملون النعش قرابة السبعة من الرجال وهو ثامنهم ، فلما وضعوا النعش على الأرض وبدأوا يصلون على الميت . . وصاحبنا واقف معهم ، حانت منه التفاتة إلى الميت الذي ربما انكشف الغطاء عنه ، فإذا بالميت يخرج له لسانه ويغمز بعينه !

فترك صاحبنا الصلاة وهرب إلى سيارته لا يلتفت إلى خلفه . . فلما أدار محرك السيارة وتحركت من مكانها . . فإذا به يرى الميت قبل قليل ، مقبل يركض على قدميه باتجاهه ، فجن جنون صاحبنا وضغط بكل قوته على دعسة البنزين فأسرعت السيارة كأنها الصاروخ مبتعدا عن هذه البلدة .

وكان فيما بعد ، ولأشهر عدة ، كلما جاء من هذا الطريق لا يتوقف في هذه البلدة ، ومازال لم يجد تفسيرا لما حدث ! . . ولم يخبر أحداً بما شاهده ورأى لأنه هو نفسه غير مصدق لما حدث فكيف يضمن أن يصدقه الآخرون؟ ! . . بل ربما أصبح موضع سخرية منهم .

وبعد أشهر . . بينما هو علي عادته مارا بهذا الطريق اضطر للتوقف عند هذه البلدة بسبب نفاد خزان الوقود حيث نسي ولم يكن أخذ حيطته .

فتوقف وهو وجل ، يتلفت يمينا وشمالا كأنه يبحث عن شيء . وفجأة . . إذا برجل يضع يده على كتفه ! . . فلما التفت فإذا به وجها لوجه أمام الرجل الميت الذي صلى عليه قبل عدة أشهر وأخرج له لسانه وغمز بعينه وشاهده يركض باتجاهه !

فأخذته المفاجأة لبرهة وجمد في مكانه ، ثم حاول أن يهرب ، إلا أن الرجل - الميت سابقا - تمسك به جيدا وهو يقول :

- «يا بن الحلال ، اذكر الله ، اركد ، أبي أعلّمك السالفة» !

فكأنه هدأ قليلا ، وارتخى بين يدي الرجل ، بعد أن أحس بشي من الاطمئنان بسبب لهجة الرجل الهادئة .

فشرح له الرجل الحكاية الغريبة قائلا :

- «يا خوي أنا رجال نضول ، أصيب بالعين ، عاد يوم جماعتي زهقوا مني ، ومن فعايلي ، كل يوم سادح لي واحد ، قالوا نبي نصلي عليك صلاة الميت ، يقولون النضول إذا صليت عليه صلاة الميت يبطل مفعوله ، وانا قلت اللي تبون سوّوه ، واللي شفتهم عيال عمي وجماعتي ، وانا يوم شفتك معهم عرفت أنك على نيّتك اتحسب إني ميت ، فقلت ابي امزح معك ، طلعت لساني لك وغمزت لك ، ويوم شفتك هربت ، قلت الرجال لا يستخف ، وركضت وراك أبي أعلمك بالموضوع لكنك ركبت السيارة وانحشت . . ولحين يوم وقفت والله عرفتك على طول وجيت أعلمك» .

فلما سمع صاحبنا الحكاية أخذته نوبة من الضحك ، بينما الرجل يدعوه لتناول القهوة كان هو يؤشر بيديه معتذرا لعدم استطاعته التحدث لشدة الضحك .

«يمكن الرجل عطاه عين خلاّه يضحك» .

* * *

يبي يخطف حرمتي!

أحداث هذه القصة تبدو غريبة ، وربما لا تصدق ، لولا أنها جرت منذ فترة ليست بعيدة كما يرويها لنا أحد الأصدقاء .

فبينما كان رجل مسافرا معه زوجته ، التي كانت نائمة في الخلف من سيارته «السوبربان» الواسعة ، وكان التوقيت ليلا ، إذ لاحظ من ورائه سيارة كأنها تحاول اللحاق به ، حتى أن سائقها يرسل أضواء متقطعة كأنما يطلب منه التوقف .

فدخل الشك في نفس الرجل ، وهو لا يعلم عن عدد من في هذه السيارة ، وخشي من نوايا سيئة - ربما - عند هؤلاء ، وخاف أن تمس زوجته بسوء .

فزاد من سرعته جدا ، فابتعد عن السيارة التي خلفه ، وساعده على ذلك أنها صغيرة الحجم لا تستطيع مجاراته . . فلما ابتعد حمد الله على ذلك واعتقد أن السيارة أخذت طريقا يؤدي إلى واحدة من المناطق التي يتفرع لها شارع من طريق السفر الذي يسير عليه ، وهو طريق مظلم ، لا إنارة فيه ، ولا مساكن من حوله ، باستثناء استراحات الواحدة منها بعيدة عن الأخرى ، والاستراحات هذه عادة يكون فيها محطة وقود وبقالة وربما محل تصليح السيارة وما شابه .

فلما اطمئن الرجل تماما بعد أن قطع مسافة لا بأس بها ، شعر بأنه يريد قضاء الحاجة ، فتوقف على جانب الطريق المظلم ، ونزل من سيارته . فانتبهت زوجته من نومها على صوت اغلاق الباب ، فرأت زوجها وهو ينزل ، ففهمت الأمر ، وشعرت بأن لديها نفس الرغبة ، فنزلت من باب السيارة الخلفي وانسلت في الظلام . . وبينما هي جالسة تقضي حاجتها شاهدت زوجها يعود إلى سيارته . . فتحدث المفاجأة التي لم تخطر لها على بال !

كانت تعتقد أن زوجها رآها وهي تنزل ، وإذا لم يكن ذلك فأنه سوف يتفقدها ، لكن شيئا من هذا لم يحدث . . فقد أدار زوجها محرك السيارة وتحرك تارك زوجته في هذا الموقف الذي لا تحسد عليه .

ولم ينفعها ركضها من ورائه وصرخاتها العالية لعله يسمعها . . فتابعته بنظراتها وهو مبتعد ، وقد شعرت بالخوف الشديد في هذا الظلام الدامس والأرض المنقطعة من أي أحد .

وأخيرا استسلمت لمصيرها ، واقفة على جانب الشارع .

وبعد مضي ربع الساعة أو أكثر قليلا . . لاحت لها أنوار سيارة قادمة ، فاستبشرت خيرا رغم شعورها بالخوف ممن في هذه السيارة .

فلما اقتربت السيارة ، أشارت بعباءتها تطلب من السيارة التوقف .

وعندما توقفت كان أول شيء قاله صاحب السيارة :

- «بسم الله الرحمن الرحيم . . انت إنس ولا جنية»؟ !

فردت عليه تخبره بالقصة باختصار . فطلب منها أن تركب بسرعة حتى يلحق بزوجها قبل أن يبتعد ، فأبت المرأة أن تركب قبل أن يقسم لها بأغلظ الأيمان ألا يمسها بسوء أو يتعرض لها بمكروه ، ولم تركب إلا بعد أن توثقت من حلف الرجل وقسمه على ذلك .

فلما ركبت ، سألها عن نوع سيارة زوجها ، وعندما أخبرته عرف أنها السيارة «السوبربان» التي كانت على الطريق معه قبل ساعة تقريبا . . فقد كان هو صاحب السسيارة الصغيرة التي أطلقت الأضواء المتقطعة . . فقال يخبر المرأة :

- «أنا كنت أمشي وراكم . . وقمت أكبّس لراعي السوبر . . أبا أتسلى معه ، وأقزّر طريق السفر الطويل . . لكنه داس بكل سرعة سيارته وهرب مني . . ما أدري شفيه»؟ !

فسكتت المرأة . . لأنها كانت نائمة ولا تعلم عن هذه الحكاية شيئا . وسكت الرجل ، كأنه شعر بخوف وحياء المرأة ، وكان رجل فيه خير ، فزاد سرعة سيارته بكل قوتها وهو يدعو الله أن يلحق بالرجل .

في هذه الأثناء ، كان زوج المرأة لحسن الحظ ، يسير على مهله ، وهو يعتقد أن زوجته تغط في نومها بالجزء الخلفي من السيارة . وكان يسبح في أفكاره ومخططاته لأمور خاصة في حياته .

ولم ينتبه من خيالاته إلا على ضوء سيارة من خلفه ، مسرعة تطلق الأضواء المتقطعة . . فعرفها . . هي السيارة التي كانت طاردته منذ ساعة . . وعاودته ظنونه السيئة . . بل أصبحت مؤكدة . . فصاحب أو أصحاب هذه السيارة يضمرون له سوءاً ، وليس عنده شيء يخشى عليه أكثر من زوجته ، وحدث نفسه بأن هؤلاء الأوغاد مؤكد أنهم فاسدون يريدون المرأة .

وعندها لم يجد إلا أن يزيد سرعته إلى الحد الأقصى . . كان يريد أن يصل إلى نقطة تفتيش شرطة ، على نفس الطريق ، وحمد الله أنها ليست بعيدة ، فهو يعرف مكانها ، وبسرعته سوف يصل إليها بأقل من عشر دقائق .

أما صاحب السيارة الصغيرة ، فلم يجد تفسيرا لما يقوم به صاحب السيارة السوبر . . حتى أنه أخذ يفكر بصوت مرتفع تسمعه المرأة :

- «هذا وش فيه؟ . . أنا وش أبي منّه . . أبي أعطيه حرمته اللي نساها ومشى عنها» ! !

وكان هذا حالهما . . صاحب السيارة الصغيرة يحاول اللحاق بالسوبر دون جدوى ، لكنه على الأقل مازال خلفه .

وأخيرا . . وصل صاحب السوبر إلى نقطة التفتيش . . فتوقف عندها بقوة شديدة حتى أن صوت الإطارات جعل مجموعة من الشرطة كانوا يجلسون في ناحية من النقطة أمامهم الشاي والقهوة . . يهبون واقفين .

فجاء إليهم مهرولا وهو يصيح :

- «تكفون يا عيال . . راعي سيارة وراي . . من اليوم يطاردني ، يبي الردى ، سالفته شينة» !

فأخذ بعض الشرطة السلاح ، واستعدوا للسيارة التي أصبحوا يشاهدونها تقترب منهم والرجل يشير إليها : «هذي هي . . هذي هي» !

فلما نزل صاحب السيارة ، وشاهد الشرطة يصوبون السلاح إليه ، ويطلبون منه التوقف في مكانه ، وزوج المرأة معهم يصيح عليهم :

- «هذا هو . . من اليوم وراي ، يبي يخطف حرمتي» !

فقال الرجل :

- «على هونكم يا جماعة . . أعلّمكم الموضوع» .

وبينما زوج المرأة يقاطعه :

- «ما عليكم منه . . اقبضوا عليه . . يبي يخطف»

فرد عليه :

- «وش أخطف حرمتك . . هذي حرمتك معي بالسيارة» !

فلما نزلت المرأة من السيارة . . كانت مفاجأة مذهلة للجميع . . فرجال الشرطة كانوا يريدون أن يفهموا الحكاية . . أما زوج المرأة فلم يتحمل الموقف فقد أغمي عليه .

في هذه الأثناء . . كان الرجل قد أخبر رجال الشرطة بكل القصة ، والمرأة تؤكد ما يقوله . . وأكمل سفره بعد ترك المرأة وزوجها وبعد أن شكره رجال الشرطة .

أما زوجها . . فلما صحى كان أشبه بالمجنون . . يركض من شرطي إلى آخر وهو يقول كلاما غير مترابط :

- «كانت نائمة . . أنا مسرع . . الرجل وراي . . وش جابها بسيارته» .

بينما زوجته تحاول تهدأته :

- «يا بو فلان . . تعال أفهمك . . اذكر الله . . وهدي أعصابك» .

فكان الموقف رغم غرابته . . مضحك جدا .

* * *

هاك نصّك.. وأنت أبوك مات

سبحان الله . . هناك من الطباع ما تتمكن من نفس الإنسان ، فلا يستطيع التخلص منها ، وتصبح ملازمة له ، ويعرف بها . فإن كانت حسنة صارت صفة ثناء ينعت بها وتكون مصدر اعتزازه ، وإن كانت سيئة صار كلما عمل عملا لا يرضى الناس عنه ، تذكروا صفته تلك فوصموه بها . . وتظل لصيقة به لا ينفع أي فعل في دفعها عنه .

هؤلاء شبان ثلاثة من أبناء البادية ، أحدهم ابن شيخ القبيلة ، ذهبوا يطلبون العلم في جامعة احدى البلدان العربية ، وقد مضت الأيام على أحسن ما يرام لا يعكر صفوها شيء .

إلا أن أحدهم كان مبتلى بعادة سيئة ، وهي عدم قدرته على اخفاء أي خبر يسمعه ، مهما كانت خطورة الخبر والعواقب الوخيمة التي تترتب على افشائه .

حدث في أحد الأيام أن صاحبنا هذا وابن شيخ القبيلة كانا جالسين في الشقة ، وزميلهما الثالث كان خرج لبعض شأنه . وفي اليوم التالي كان اختبار السنة النهائي . فإذا بطرق على الباب ، فإذا بموظف البريد يسلمهما برقية مستعجلة . فتسلما البرقية .

كانت البرقية . . تفيد بوفاة والد زميلهما الثالث ، عندها قال ابن شيخ القبيلة :

- «يا فلان . . أنت ما تصبر على ضم العلم ، وباكر اختبار آخر السنة ونرجع لأهلنا ، فلا تخرب على صديقنا ، وتعلمه بوفاة أبوه . أنت خذ نص دينار واطلع تعشى برّا وتمشى ، حتى ترجع وتلقاه نايم ، فإذا دخل الاختبار وخلص بلغناه ورجعنا لأهلنا» .

فأخذ صاحبنا نصف الدينار بتردد ، فهو بالفعل لا يستطيع اخفاء الخبر حتى صباح اليوم التالي ، فهي بالنسبة له ساعات طويلة .

وبينما ابن الشيخ يدفعه إلى الباب ، وحين فتح الباب فإذا بزميلهما الثالث واقف أمامهما واصلا للتو ، فدخلوا كلهم .

وكان ابن الشيخ يغمز لصاحبنا بأن يخرج ، وصاحبنا يدير وجهه يمينا وشمالا لا تستطيع قدماه نقله .

فانتهره ابن الشيخ قائلا :

- «يا فلان . . روح لشغلك ، تراك تأخرت» !

فأحس زميلهما بشيء بينهما فسأل :

- «يا جماعة فيكم شيء . . ترى ما أنتم طبيعيين» .

فقال ابن الشيخ :

- «لا . . على دخلتك كان فلان يبي يطلع ، عنده شغل ، ما فيه شيء ابد» .

وأكمل غمزه لصاحبنا . . بينما صاحبنا يصل إلى الباب ثم يعود ثانية ، وهكذا . وأخيرا صرخ بصوت مقهور :

- «يبا . . أنت هاك نصّك . . وأنت ترى أبوك مات» !!

وكان الله بعون زميله عندما دخل الامتحان باليوم التالي والأحزان تملأ قلبه على فقده والده .

* * *

بعد نظر!

كان من دأب أحد الأشخاص ، اعتزازه بنفسه من خلال العبارات الفخمة التي يطلقها ، فتحصد - عادة - لفت الانتباه من حوله ، اعجابا أو استغرابا . . لا فرق .

وفي أحد الأيام آلمته عينه ألما شديدا لم يجد عنده إلا أن يتوجه إلى الطبيب ليعالجه ، مع ما كان يحس به من ضعف في البصر .

فلما كشف الدكتور على عينه ووصف له العلاج . . استفسر صاحبنا عن ضعف النظر الذي يحس به؟ !

فأخبره الدكتور بأن الذي عنده ليس ضعف وإنما (بعد نظر) ويحتاج إلى نظارة يضعها على عينيه و . . . !

لكن صاحبنا قاطع الدكتور قائلا :

- «يا دكتور بعد النظر هذي شهادة واشادة منك ، وهذا ما هو مرض ، هذا شيء افتخر فيه ولا أعالجه» .

وخرج صاحبنا بعيد النظر من عيادة الدكتور الذي جلس مستغربا يردد عبارات صاحبنا يحاول فك رموزها !!

* * *

سابق عصره

بينما كان مجموعة من الشعراء ، في ضيافة واحد منهم بعد أن دعاهم إلى وليمة على شرف ضيف يزوره ، قدمه لهم على أنه شاعر أيضا .

فكانت الأحاديث تدور حول الشعر وقضاياه والضيف الشاعر صامت لا يعلق بشيء .

فتطرقوا في أحاديثهم إلى بعض الأمور التي تناولها شعراء سابقين في قصائدهم قبل أن تقع . . ثم حدثت بعد ذلك . مدللون بذلك على استشراف الشعراء المبدعون للمستقبل ، ضاربون أمثلة كقول شاعر قديم يصف الآلة التي تحمل قصيدته إلى شاعر آخر بسرعة خارقة ثم يمضي الزمان فيخترع الإنسان صاروخ الفضاء .

ويعطي شاعر ثان مثال ، بما قاله العواجي ، والد الفارس المشهور عقاب ، من خشيته أن يقول قائل :

السيف من يمني عقابٍ أخذناه
والخيل بدل كدشها بالأصايل

ويأتي الخبر مطابق لما كان يخشاه العواجي بالفعل .

وبينما الأمثلة متتابعة من الشعراء الحاضرين . . نطق الضيف الشاعر لأول مرة ، فانتبهوا له جميعا بكل تقدير واحترام . . فقال :

- «فيه شاعر قديم تنبأ بظهور الجرائد قبل وجود الصحافة» .

فانتبهوا له بشدة ، بخاصة وأن معلومة كهذه ملفتة للانتباه . . فأكمل :

- «يقول الشاعر من قصيدة يرثي فيها زوجته :

وإلا كـــــونـه راعـــــبي الحـــــمـــــامـــــا

غـــــاد ذكـــــرها والقـــــوانيص يـرمـــــون

تـســـمع لـهـــا بين الجـــرايد حـطامـــا

من نـوحـــهـــا تـدعي الحـــمـــايم ينوحـــون

فكتم الجميع ضحكات تكاد تتفجر في صدورهم ، أما صاحب الدعوة فأحمر خجلا وهو يقول بهدوء محاولا أن يخفي ما بداخله :

- «لا . . يا فلان ، هذا الشاعر يقصد وقوع الحمامة بين جريد النخل ، وليس للجرائد والصحف أي دخل في هذا الشعر» !

* * *

عيد آخر!

اعتاد مجموعة من الشباب الشعراء ، التجمع في مقهى مساء أغلب أيام الأسبوع ، بعد أن يكون كل واحد منهم أنجز شؤونه اليومية ، وبعضهم يكون للتو خارجاً من مقر عمله الذي ينتهي في هذا الوقت .

فيجدون في هذا المقهى ملتقى ، يتبادلون من خلاله الأحاديث والنقاشات الأدبية وسماع القصائد ، بوجود «الأراجيل» والمشروبات الساخنة والباردة .

وكان عامل المقهى واسمه «عيد» اعتاد على تجمعهم ، ويعرفهم واحداً واحداً ، لكن شيئا واحداً ظل غامضا بالنسبة له ، لا يجد له مبررات كافية . . فهو حين يستغرق منه وضع

المشروبات وتضبيط الأرجيلة «الشيشة» بضع لحظات يقضيها على مقربة منهم ، يسمع كلاما غريبا ، يفهم لغته العربية ولا يعرف معانيه ، ذلك حين يكونون يناقشون واحدة من قضايا الشعر فيستعملون مفردات : الحداثة ، السوريالية ، مغرق في التقليدية ونصوصه كلاسيكية ، وأشياء من هذا القبيل .

وأحيانا حين يكون واحد منهم يلقي قصيدة . . فيخيل للعامل «عيد» أن هذا الشاب يعاني من أمراض في الجهاز الهضمي ، وأنه يشرح لأصدقائه ما يشعر به من آلام ويحدثهم عن أعراض هذا المرض . فيشفق عليه ويصخي السمع لعله يفهم ما يقول . . لكنه يصطدم بكلامٍ عامي لا علاقة له بتعابير وجه الشاب ، الذي يتعصر ويرفع يديه ويخفضهما ويمد بصره تارة ويرمي به يمينا وشمالا تارة أخرى .

لذلك اتخذ «عيد» قراراً خاصاً بأن يقول : «ماشي يا عم» لأي قول أو أمر يصدر من هؤلاء حتى لا يدخل في عالم مقولاتهم وتصرفاتهم الغريبة .

وكان من ضمن هؤلاء الشعراء . . شاعر شاب - ربما - يعيش قصة حب أو أن فتاة جميلة تستقر في ذاكرته لا تغادرها أبدا . . فكان كلما جاء «عيد» إليهم بناء على طلبهم . . وناداه أو كلمه أحدهم مخاطبا إياه باسمه «يا عيد» قال هذا الشاب الشاعر :

يا عـــيـــد مـــا أنت بعـــيـــد ولا قـــالـهـــا الـلـه

الـعـــيـــد والـلـه بـين هـاك الحـــجـــاجـين

فيرد عليه «عيد» :

- «ماشي يا عم» !

* * *

شاعر ثرثار

عرف عن أحدهم ، وكان شاعرا ، كثرة الكلام والثرثرة بمناسبة ودون مناسبة ، وفي أي مكان ودون اعتبار لمن يكون أمامه . . ربما اعتقادا منه بأهميته كشاعر تنصت الناس له وتقبل على حديثه أو شيئا من هذا القبيل .

وفي احدى المرات كان صاحبنا في مجلس أحد الشخصيات البارزة ، وكان أيضا شاعرا . . فالحديث إذن يدور حول الشعر والشعراء ، إلا أن صاحبنا تجاوز حدود اللباقة والأدب ، فلم يعط الفرصة لأحد أن يتحدث ، وكلما تطرق الموجودون إلى موضوع أدلى بدلوه ، وقاطع المتحدث بآرائه وتنظيراته ، لدرجة أن صاحب المجلس تضايق منه جداً ولكنه مازال متماسكا يحاول أن يخفي ما يشعر به .

في هذه الأثناء ، سأل أحد الحاضرين :

- «وش رأيكم . . ما هو أفضل بيت قاله شاعر»؟

فأجاب صاحبنا بأسرع من البرق ، وكأن السؤال موجه له وحده :

- قول أحد الشعراء :

عبد العزيز الضيغمي ماضي الأفعال

اللي ضحايا والدينه رجاجيل

فعارضه صاحب الديوان ، الشخصية البارزة ، قائلا بهدوء شديد بعد أن نفد صبره :

- أنا أعتقد أن أفضل منه قول الشاعر :

فنجال طين ما انت فنجال صيني

تبرك مباريك الجمل وانت ناقه

فلزم بعدها صاحبنا الصمت ، ولم يتحدث حتى قام من المجلس !

* * *

خلافات سواق السيارات

تحدث بين قائدي السيارات في أغلب الأحيان خلافات بسبب ، إما الاختناقات المرورية أو ضيق الشوارع ، وأحيانا عند تعطل اشارات المرور ، وربما لأسباب أخرى . وتصل الخلافات في بعض الأحيان إلى حد تبادل الضرب ، وأحيانا لا تتجاوز حدود الشتائم والسباب ، وغالبا يستر الله تعالى لتنتهي بصورة ودية .

وحين نقلب أوراق الذاكرة نجد قصصا كثيرة من هذا النوع .

* * *

إلا عندك غيرها السالفة؟!

خرج أحدهم من منزله على أثر خلاف مع أحد أفراد أسرته ، وقد بلغ منه الغضب مبلغا لا حدود له ، ربما لما يشعر به من ضيق لأنه على حق كما يعتقد .

ويبدو أن هذا الاعتقاد استمر معه وهو يقود سيارته على غير هدى ، ليس في باله جهة محددة ، فقد كان يخرج من شارع ليدخل في شارع آخر . . وهو يفكر في تفاصيل الخلاف !

وأثناء ذلك . . بينما هو في غمرة هذه الأفكار ، لم ينتبه لسيارة أمامه كاد أن يصطدم بها لولا لطف الله عز وجل ، لكنه بدلا من أن يشعر بخطئه أو يعتذر . . قام بإطلاق صوت التنبيه بقوة وأخذ يؤشر بضوء السيارة الأمامي بحركات متتالية نحو قائد السيارة . . والأمر بالطبع لا يخلو من شتائم لحسن الحظ أن الرجل في السيارة التي أمامه لم يسمعها ، ولكنه كان يرى حركات يده الغاضبة والتنبيه وضوء السيارة ! . . فقد كان صاحبنا يطلب منه أن يتوقف

بإشارات غاضبة .

فلما توقف الرجل . . توقف صاحبنا - أيضا - خلفه مباشرة ، وبينما كان يهم بالنزول . . فإذا بالرجل هو الذي ينزل من سيارته ويأتي ، وفي يده (عجرا) عصا غليظة ، ولم يكن بحاجة لها فقد كان ضخم الجثة ، مفتول العضلات .

فطار الغضب من نفس صاحبنا ، وحل مكانه الهلع والخوف . . لم يعرف ماذا يفعل والرجل يقف عند رأسه يسأله :

- «هاه . . وش تبي»؟ !

فلم يجد شيئا يرد به إلا أن يقول :

- «أبد والله يالغالي ، قلت يمكن إني أزعجتك يوم بغيت أصدمك ، فكنت أعتذر منك بآلة التنبيه والإشارات . .» !

فقال له الرجل :

- «إلا عندك غير هالسالفة»؟ !

فقال :

- «أبد والله ما عندي إلا سلامتك» !

فقال الرجل : «يالله . . السلام عليكم» .

ومضى وهو يضع يده على فمه يغالب ضحكة تكاد تنفجر من أعماقه وهو يحاول إخفاءها !

* * *

هذا طاح منك؟!

يقول أحدهم عندما توقفت عند احدى اشارات المرور ، وقفت بجانبي سيارة يقودها شاب

من أهل الشام كما عرفت من لهجته فيما بعد .

فالتفت على صوت فرامل مدو ، وإذا بسيارة أخرى تتوقف من خلفه بشدة ، حيث نزل سائقها بسرعة البرق واتجه إلى بابها الخلفي ليخرج (الليور) وهو مفتاح براغي الإطارات . . ففهمت الحكاية . . لأن هذا المفتاح يستغله سواق السيارات بالضرب أثناء المشاجرات ، وأكيد أن الرجل مقبل على مشاجرة . . وبالفعل توجه نحو سيارة الرجل الشامي الذي يبدو أنه حصل بينهما سوء تفاهم في الطريق قبل أن يتوقفا عند هذه الإشارة .

فلما نزل الشامي من سيارته ، فإذا به لا يجدي معه (ليور) أو شيء من هذا القبيل ، فهو فارع الطول وعضلاته مفتولة . . ويرتدي زيّا رياضياً ، وفوق ذلك كله ، فقد استند على باب سيارته ونظر باستخفاف شديد إلى صاحب (الليور) وقال :

- «نعم»؟ !

وهنا أسقط بيد الرجل ، الذي يبدو أنه تمنى أن تنشق الأرض لتبلعه ، بخاصة وأن الإشارة مكتظة بالسيارات والكل ينظر له . . فكان في موقف لا يحسد عليه ! ولم يجد مخرجا من ورطته إلا أن يقدم (الليور) إلى الرجل الشامي ، قائلا :

- «هذا طاح منك» !

فقدر الشامي وضعه ، ويبدو أنه لم يشأ أن يحرجه أكثر مما هو عليه ، فتناول (الليور) بهدوء قائلا :

- «مشكور» !

وركب سيارته . . وعاد الرجل إلى سيارته مسرعا وهو لا يصدق بتخلصه من الموقف . . فلما أضاءت الإشارة الخضراء مضى بسيارته دون أن ينظر يمينا أو شمالا . . فلم يشاهد سائقي السيارات الذين كانوا غارقين في الضحك من الموقف .

* * *

مشاجرة في الهواء

هذا أحدهم ، وكان مشهورا عنه شدة أناقته ، يقود سيارته في أحد الشوارع الرئيسية ، ولا يعلم ماذا حدث بالضبط عندما انحرفت سيارته فكاد أن يصطدم بسيارة أخرى .

ولم تكن عادته أن يغضب ، أو يتبادل الكلمات المقتضبة مع قادة السيارات الآخرين ، بل كان دائما ما يأخذ الأمور ببساطة وروح رياضية فيرفع يده بإشارة تدل على أسفه واعتذاره حتى لو لم يكن مخطئا .

لكنه في هذه المرة وقع ضحية لحظه العاثر كما يبدو ، فرغم أنه المخطىء لانحراف سيارته عن مسارها ، إلا أنه لم يتحمل الإشارة التي أومأ بها صاحب السيارة التي كاد يصطدم بها ، فلحق به يطلب منه التوقف ، وصاحب السيارة الثانية لا يريد أن يتوقف .

وبعد إصرار من صاحبنا ومحاولاته المتكررة ، توقف صاحب السيارة الثانية ، فنزل إليه «الأنيق» مسرعا ، ونزل هو من سيارته ، ودون أن ينطق بكلمة واحدة مد يده ورفع صاحبنا الأنيق من رقبته ليعلقه في الهواء ورجلاه تتدليان ، وظل على هذه الحال بضع لحظات .

وكانت السيارات تتوقف وينزل أصحابها مسرعين للتفريق بين المتعاركين كما هي العادة .

لكن صاحبنا الأنيق يروي بنفسه ما حدث له فيقول :

- «والله إني كنت بموقف صعب ومحرج ، لكن اللي محرجني أكثر أنه ولا واحد من أهل السيارات اللي نزلوا ، طلب مني أن أترك الرجال أو ابتعد عنه ، لكن كلهم كانوا يقولون له :

- « تكفه طالبينك اتركه . . خله يولي» !

فقد كنت في نظرهم لاشيء .

* * *

عقالي وين؟!

هذا أحدهم عندما كان يقود سيارته اليابانية صغيرة الحجم ، على شارع رئيسي واسع ، ويعبر وسط احدى المناطق ذات الكثافة السكانية ، وكان الشارع تعلوه طبقة خفيفة من التراب الناعم ، ربما لكثرة من يجتازه من المشاة ، وربما - أيضا - لحسن حظ صاحبنا ، الذي لم يكن مسرعا عندما فوجىء بقوة الارتطام من الخلف ، الذي قذف بسيارته أمتارا عدة إلى الأمام مع ما أحدثه من صوت يصم الآذان ، وقد اعتقد لأول وهلة أن سيارته تدمرت تماما . . فنظر من خلال المرآة لما وراءه فشاهد سيارة كبيرة الحجم وقد لفت انتباهه أن «عقاله» لم يكن على رأسه !

فنزل بقوة وهو يشتم ويتوعد ويرفع يده عاليا على سائق السيارة التي اصطدمت به . فلما نزل الرجل الآخر ، فإذا به من الأشقاء السودانيين . . فارع الطول ، ضخم الجثة . . وكان سمع ورأى غضب صاحبنا . . فقال مستفسرا :

- «ايش . . ايش . . يا زول شو حصل؟ !» .

ولما كان يبدو أنه مستعد للمنازلة ، وينظر بازدراء إلى صاحبنا ، فلم يجد صاحبنا إلا أن يقول :

- «لا أبدا . . لكن عقالي ما أدري وين راح»؟ !

فرد عليه السوداني بنفس اللهجة :

- «ايش . . أنا مسؤول عن عقالك روح دوّره» .

فنظر صاحبنا إلى سيارته ، فإذا هي سليمة من الخلف ، بسبب انزلاقها مع الصدمة على التراب . فحمد الله على ذلك وعاد إلى سيارته . . وبينما يمر بجانبها قبل أن يركب فإذا بعقاله قد استقر في آخر المقصورة الداخلية ، رآه من الجام الخلفي للسيارة . فضحك لقوة الصدمة التي أطارت العقال إلى هذا المكان والسوداني مع ذلك يتساءل : «شو حصل يا زول»؟ !

* * *

الشايب العاشق

ضاقت ذرعا احدى النساء بتصرفات (شايب) من جيرانها ، وهو أحد أقرباء زوجها في الوقت نفسه . فهو برغم كبر سنه وشيخوخته إلا أنه ينتظر خروج زوج المرأة لشأنه ، ومن ثم يأتي ليلقي على مسامعها كلمات الغزل والإعجاب . وكانت في بداية الأمر تتجاهله ولا ترد عليه ، ولم تأخذ كلماته مأخذ الجد بل تعتبرها على سبيل المزاح ، لثقتها في نفسها وكذلك لكبر سنه . . إلا أنه أخذ يتمادى وبدأ بالتحرش غير اللائق ، فكان لابد أن تخبر زوجها الذي ضحك كثيراً عندما سمع منها عن تصرفات هذا (الشايب) . . وفكر في طريقة تعيده إلى رشده . وأخيرا اهتدى إلى فكرة طريفة .

قام الزوج بوضع صندوق كبير في (حوش) البيت واتفق مع زوجته على الخطة ! فلما خرج في صباح اليوم التالي ، جاء (الشايب) على عادته ، واستقبلته المرأة بصورة مختلفة هذه المرة ، فرحبت به بكلمات طيبة ولانت معه بالحديث ، وبينما هما على هذه الحال ، سمعا طرقاً قويا على الباب . . فتصنعت المرأة الارتباك وهي تقول :

- «يا ويلي . . يا فضيحتي . . هذا رجلي . . وين أوديك؟ . . وين أخشّك؟» .

ثم أضافت :

- «تعال . . ادخل الصندوق . . تخفى داخله» !

وأحكمت اغلاق الصندوق وفتحت الباب لزوجها ، الذي دخل غاضباً ، وهو يقول :

- «يا مال العمى . . ما قلت لك أبي أبيع الصندوق ، وأنا مزهبه بالحوش ، ما ذكرتيني فيه» !

وسحب الصندوق ، وجرته المرأة من الجهة الأخرى وهي تصيح :

- «لا والله ما أخليك تبيعه . . حنّا محتاجينه» !

وهكذا استمرا يتجادلان ، (والشايب) في داخله يدعو الله ألا ينفضح أمره ، وهو يتعرض للارتطام والكدمات في كل أنحاء جسده ، فلما تحققوا أنه أخذ قدراً لا بأس به من الضرب ، قذف الرجل الصندوق وخرج قائلا بصوت عالٍ :

- «خذي صندوقك عساك ما تفيدين ، أبي أخليه لك» !

فلما فتحت المرأة الصندوق ، وجدت (الشايب) في حالة يرثى لها ، لا يستطيع المشي لكثرة الرضوض ، فساعدته للوصول إلى الباب وكان خروجه الأخير .

فلم يعد بعدها أبدا !

* * *

يا شيخ.. أنت مسلم؟!

هذا السؤال الغريب تعرض أحد أئمة المساجد ، وهو شيخ دين على قدر كبير من العلم ، ورجل فاضل معروف بالأخلاق الكريمة كالسماحة والتواضع والألفة . . وهي صفات جعلت منه محبوبا من رواد المسجد من المصلين .

وهذا الشيخ من الجنسية الهندية ، إلا أنه يتحدث اللغة العربية بطلاقة ، وكان يحاضر في حلقات العلم ويعطي دروسا دينية فلا يلحظ أحد لكنة في لهجته أو شيئا من هذا القبيل وإن كانت هيئته تدل على جنسيته ، وليس في ذلك عيب - لا سمح الله .

لكن الطريف في الموضوع أن أحد «الشياب» من المصلين بالمسجد ، ويبدو أنه معجب ببساطة الشيخ وعلمه وأخلاقه ، وهؤلاء «الشياب» على نياتهم ، يمتازون بعفوية وتلقائية جبلوا عليها ، حيث - كما يبدو - أن الأمور تداخلت في ذهنه ، فالشيخ هندي ويصلي و . . و . . و . . لذلك سأل الشيخ :

- يا شيخ . . أنت مسلم؟ !

وبالطبع ضحك الشيخ كثيرا من سؤال الشايب ، رغم أنه أجابه عن سؤاله بخاصة وأنه إمام المسجد فكيف لا يكون مسلما؟ ! . . وكان الشيخ يروي حكاية هذا كطرفة .

* * *

تبيني أشيل ذنوبهم؟!

بعد أن قضى الأخوان ومعهما والدهما المسن فترة العصر بالتسوق في سوق بيع وشراء السيارات (الحراج) بحثا عن سيارة مناسبة لشرائها .

خرجوا من السوق قبيل آذان المغرب بلحظات . . ولما لم يسعفهم الوقت للوصول إلى مسجد يصلون فيه ، فقد ركنوا سيارتهم على جانب الطريق ، ونزلوا للصلاة وقد أمّهم بالصلاة والدهما .

ولما كان هذا الطريق يمر به أغلب الخارجين من سوق السيارات ، فإن «الشايب» ما إن كبّر للصلاة إلا والسيارات تتوقف وأعداد المصلين من خلفه تتزايد ، وهو لا يعلم عنهم شيئا .

حتى انتهى من سورة الفاتحة عند قوله : (ولا الضالين) فسمع من خلفه أصواتا كثيفة ترد : (آمين) . فركع ثم سجد بعد ذلك . وحين تأكد أن الجميع سجدوا ، رفع رأسه دون أن ينطق والتفت يمينا وشمالا . . عندها تبين له كثرة المصلين ، فنهض دون أن يحدث صوتا ، وترك المصلين ساجدين وذهب ليجلس في السيارة .

فلما أبطأ الناس في السجود ، وكان ابنه أقرب المصلين لموضع والده في الصلاة ، وكان قد أحس بأن شيئا قد حدث ، فرفع بصره ، ولما رأى مكان والده خاليا ، قام وأكمل الصلاة إماما لهم .

وبعد الانتهاء . . أقبل الأخوان يسألان والدهما عن سبب قطعه لصلاته وتركه للناس بهذه الطريقة . . فكان جوابه :

- «تبيني أنت وأخوك أشيل ذنوب خلق الله ، وأنا عاجزٍ أشيل ذنوبي» ! !

* * *

جعلني أدعمك كل يوم!

هذا شاب من أبناء واحدة من الأسر الحاكمة ، بالرغم من مكانته وأهميته إلا أنه كان بالإضافة إلى أخلاقه النبيلة على قدر كبير من التواضع الجم في أمور كثيرة .

من ذلك أنه يخرج بسيارته العادية التي وإن كانت غالية الثمن لكنه يرفض أي مظهر من مظاهر التفخيم وما شابه . . باستثناء سيارة حراسة مدنية تسير على مسافة غير بعيدة من ورائه احتياطا لأي سبب طارىء .

وفي عصر أحد الأيام ، ما أن خرج من القصر ، ولم يكن ابتعد كثيرا عنه ، عندما كان يتجاوز أحد الشوارع الفرعية ، فإذا بسيارة «وانيت» يقودها «شايب» بدوي كبير في السن . يبدو أنه تفاجأ باستدارة سيارة الشاب فلم يسيطر على القيادة فاصطدم به !

وبالطبع . . كان الحق على الشايب ، غير أنه لم يعترف بخطئه ، عندما أخذ ينهال على الشاب بالشتائم والمفردات الجارحة وهو لا يعرف من يكون !

وكان الشاب يحاول تهدئته دونما فائدة ، ويوضح له بأن ما يطلبه سوف ينفذ ، إن كان يريد اصلاح وانيته - رغم أن الوانيت لا يحتاج إلى اصلاحات لأنه من الأساس عبارة عن «سكراب» يمشي على الأرض - بعكس سيارة الشاب الفارهة التي تأثرت بصورة واضحة من الحادث .

المهم . . تطورت الأمور بينهما إلى الاشتباك بالأيدي ، وكانت هوشة بلغت حد اللكمات والسقوط على الأرض . . فلما وصلت سيارة الحراسة ، قاموا بفض الاشتباك ، وأخذوا «الشايب» بإشارة من الشاب معهم بالسيارة . وركب الشاب سيارته وعاد إلى القصر .

أما «الشايب» الذي كان منفعلا لا يرى ما حوله . . ومن حوله ، فكان يعتقد أن هؤلاء يتبعون شرطة أحد المخافر ، ومؤكد أنهم أخذوا الشاب مثله في سيارة أخرى ، لذلك كان يقول لهؤلاء وهو يظنهم من رجال الشرطة :

- «لو تركتوني . . والله لأذبحه ، والله إني لأسوي وأفعل» !

فلما دخلوا به من بوابة القصر ، ارتاب في الأمر ، وعندما أخذوه إلى صالة داخل القصر واسعة وفخمة . . قال له أحدهم هامسا :

- «اللي أنت تهاوشت معه الأمير فلان بن فلان» !

وخرجوا . . وتركوه وحيدا في الصالة ، تمر عليه الثواني قاسية كأنها ساعات لكثرة ما يقلب أفكاره وهو يشعر بخوف شديد ، كلما تخيل ما سيحصل له بعد قليل ، ويزداد رعبه كلما جهل ما سيحدث له ! ولم يخرجه من عاصفة رعبه هذه إلا نزول الأمير الشاب على درجات السلم ببطء شديد ، بعد أن غير ملابسه واستعاد أناقته التي بدت «للشايب» مهيبة ومحترمة فكيف خفيت عنه أثناء الحادث؟ !

فانطلق باتجاه الأمير وهو يقول :

- «تكفى . . يا طويل العمر» .

والأمير يقاطعه : ماذا كنت تقول؟ . . هاه . . يستعيد كلمات وشتائم كان قالها «الشايب» أثناء الحادث .

«والشايب» يتأسف ويعتذر وهو خائف فعلا .

في أثناء ذلك مد الأمير يده إلى جيبه وأخرج شيئا ، اعتقد «الشايب» أنه مسدس

فتراجع إلى الخلف .

إلا أن الأمير قال له :

- «لا تخف . . إن قيمة وانيتك الكحيان لو كان بالوكالة الآن ، وعلى آخر موديل ما يصل إلى هذا المبلغ فخذه» .

وأكمل الأمير مازحاً :

- «ما بي أشوفك تمر بهذا الشارع مرة ثانية» !

فلما أمسك «الشايب» المبلغ الضخم بيديه وتأكد وعرف كرم الأمير وخلقه ونبله . . صاح :

- «يا طويل العمر . . جعلني كل يوم أمر هذا الشارع وأدعمك» !

فطرده الأمير وهو يتصنع الغضب . فلما خرج ضحك الأمير من عبارة «الشايب» العفوية .

* * *

رجل غير متعاون

يأتي بعض الأخوة من البلدان العربية ، للبحث عن مصدر رزق في دول الخليج ، فيكتشفون أن عادات وتقاليد جديدة عليهم يتعامل بها الناس ، لم يألفوها في بلادهم ، وربما يحتاج بعض هؤلاء وقتا طويلا حتى يتعرف على هذه العادات ويتأقلم معها .

قبل عقود قليلة ، كان الناس في مناطق معينة يسكنون في بيوت خشبية ، تسمى «العشيش» ، وكانت أشهر مناطقها الشدادية ، والصيهد ، ومنها في خيطان والفروانية والجهراء . ولم تكن الخدمات كما هي عليه في يومنا هذا ، فأقصى ما يمكن أن تجده هو «البقالة» التي تقدم المعلبات والمرطبات والمشروبات الغازية وبعض الأشياء الضرورية .

وكانت الدولة قد قامت بتنظيم هذه العشيش في فترة معينة ، ثم مددت لها «وايرات»

الكهرباء على نطاق محدود . ثم لما انتفت الحاجة من وجودها بعد زيادة المشاريع الإسكانية ، قامت بإزالتها ، وكان احتفال أقيم باحراق آخر «عشة» تقريبا في عام ١٩٨٢م .

هذا أحد الأخوة الوافدين ، لما جاء إلى البلاد ، قبل خمسة وعشرين عاما تقريبا حيث حدثت هذه القصة ، كان العمل الذي حصل عليه هو «بائع آيسكريم» ، والناس تطلق عليه اسم «راعي برّد» . . ولديه سيارة صغيرة تسير على ثلاثة اطارات ، واحد في المقدمة واثنان في الخلف ، وتتميز بصوت المزمار الذي تطلقه ، فيعرفه الأطفال ويخرجون فرحين على صوته لشراء الآيس كريم .

وقد اختار هذا البائع ساحة خالية وواسعة ، تحيط بها بيوت «العشيش» ، يقف فيها في كل يوم منذ الصباح وحتى تنفد كمية الآيس كريم فيغادر المكان ، ليعود في اليوم التالي ، وهكذا .

وكان أمامه . . على مسافة غير بعيدة ، ديوان أحد «الشيّاب» الطيبين ، ممن يعتنون بإعداد القهوة ، محافظين بذلك على العادات المتوارثة ، فهذا الشايب منذ شروق الشمس ، بعد أن يصلي الفجر ، يجلس في الديوان وعنده من ليس لديه عمل من أبنائه يقومون على خدمته ، في إعداد القهوة والشاي وتقديمهما إلى الضيوف .

حيث يبدأ يتوافد عليه الرجال من جيرانه ومن جماعته الذين يأتي بعضهم ماشيا ، والبعض الآخر على السيارات ممن تكون بيوتهم بعيدة .

ويوميا هذا شأنه منذ الصباح ، يأتيه هؤلاء ويغادر ديوانه هؤلاء ، كما هي العادة ، إلى ما قبل دخول وقت صلاة الظهر ، حيث تكف الناس عن المجيء ، وبعد أن يصلي صلاة العصر يعاود فتح ديوانه حتى وقت الغروب .

وكان الوافد يرى ويشاهد هذا الأمر يتكرر يوميا ، لكنه لم يقترب من الديوان أبدا ، إلا أنه في بعض الأحيان يحتاج إلى «خردة» فيبعث أحد الصبيان بالدينار أو نصف الدينار ليخرده ، أي يأتي بفكة من النقود المعدنية ، فيذهب الصبي ويعود قائلا :

- «يقولون . . ما عندهم» !

وبالطبع هم صادقون حين يعتذرون بأن لا خردة عندهم ، لأنهم «شياب» يجتمعون من أجل شرب القهوة والسوالف ، وأكثرهم لا يملك شيئا بخاصة في تلك الأيام ، حيث تجد البيت ليس فيه سوى موظف واحد من الأبناء ، فالوظائف قليلة وأمور الحياة بسيطة . فتجد كبير السن والعجوز والمرأة ربما لم تدخل جيوبهم النقود أبدا ومع ذلك يكونون بخير ونعمة والأمور ميسرة بفضل ومنة من الله تعالى .

أما بالنسبة للوافد فقد أسر هذه المقولة في نفسه عندما تكررت أكثر من مرة . وفي أحد الأيام كانت الفرصة سانحة عندما لم يكن عنده أحد من الصبية ولاحظ أن «الشايب» يجلس بمفرده . . فذهب إليه ، وبعد السلام سأل الشايب رأسا :

- «حجي . . أنت ليش مو متعاون معاي»؟ !

فأجاب الشايب الذي فوجىء بهذا السؤال :

- «يا ولدي على أيش نتعاون . . ما أدري وش مقصدك»؟ !

فقال :

- «حجي . . أنا أترزق الله في بيع الآيس كريم ، وأنت بعد تترزق الله في بيع الشاي والقهوة ، ومصلحتنا واحدة . . ليش لما أبعث واحد من الصبيان أطلب منك خردة ما تعطيه»؟ !

فتفاجأ «الشايب» من هذا الكلام ، وقال :

- «يا ولدي . . أنا ما أبيع شاي وقهوة ، أنا صاحب ديوانية واللي تشوفهم ربعي وجماعتي يجتمعون عندي ، وهذي عادة من عاداتنا اللي نحافظ عليها» .

فقال بائع الآيس كريم :

- «يعني يا حجي . . أنت طول هذي الأيام تقدم القهوة والشاي بالمجان دون مقابل»؟ !

فأجابه «الشايب» :

- «نعم يا ولدي هذي عاداتنا» .

فهز الوافد رأسه ومضى دون أن يتكلم بشيء .

* * *

بياع الجرايد!

قبل أكثر من ثلاثين عاماً ، في منتصف الستينات تقريبا ، بدأت تتكون في محيط منطقة الجهراء البيوت الخشبية «العشيش» . . التي تعود في غالبيتها لجماعات من البدو من أماكن متفرقة شمالا وجنوبا ، وقد بدأوا في الاستقرار . وأخذ الشبان يلتحقون في الوظائف الرسمية وغالبا ما تكون في الجيش والشرطة بخاصة وأنها لا تحتاج إلى مؤهلات دراسية بقدر ما تعتمد على القوة الجسدية .

ومن فاته قطار الجيش والشرطة ، بسبب عدم اللياقة الصحية أو لتجاوزه السن المطلوبة ولم يكن عنده من يعينه كأخ أو ابن عم ، فإنه يواجه حياة صعبة عند الاستقرار بسبب ندرة الموارد في بلد صحراوي يعتمد على النفط أساسا . . ومن ناحية ثانية أن الناس لا تقبل بكل الأعمال ، بل ترفض كثيرا منها بحسب عادات وتقاليد متوارثة .

وكان أحد الرجال البسطاء ، وهو لا يقرأ ولا يكتب ، قد جرب عدة أعمال ليعيل أسرته الصغيرة ، ويضمن لها حياة كريمة . . إلا أنه لم يوفق في شيء منها ، فقد جرب بيع وشراء الأغنام في الصفاة لكنه خسر ، واشتغل حارسا فلم يستمر ، وعلى هذا المنوال دون جدوى .

وأخيرا . . هيأ له الله تعالى رجلا ، ابن حلال ، متعلما ومثقفا ، فنصحه بأن يبيع الجرائد ،

ولعلها لم تكن صدرت إلا صحيفة «الرأي العام» آنذاك ، وربما معها صحف أخرى ، حيث أخذه من يده ، وعلمه من أين يحصل على الكمية ، وكيف ينادي عليها في السوق صباحا حتى تنفد . . وهكذا يوميا .

وفي الصباح الباكر بدأت رحلة هذا الرجل في طلب الرزق ، وكانت عملية بسيطة ومفرحة بالنسبة إليه ، لأن النسخ أخذت تنفد من بين يديه . . فلما جاء وقت الظهر ، اكتفى بما باعه وعاد إلى بيته بما بقي معه من الجرائد .

وفي اليوم الثاني عاود الكرة ، وهو متفائل بمبيعات جيدة قياسا على ما حصل عليه يوم أمس . . وبالفعل منذ اللحظة الأولى توقف عنده صاحب سيارة واشترى جريدة .

لكن السيارة لم تبتعد قليلا . . إلا ورجع الرجل شاتماً ساخطا وحذف الجريدة مطالبا باسترجاع القيمة التي دفعها . . واصفا البائع بالغشاش .

بهت الرجل بما سمع ، وهو لا يعرف ماذا فعل ليستحق هذه الكلمات؟ حتى جاءه رجل رأى وسمع ما حدث ، وبعد أن ألقى نظرة على الصحف ، أخبره بأن هذه صحف صدرت يوم أمس ، وصلاحيتها ليوم واحد .

فالمسكين . . كان يعتقد بأن هذه الصحف تباع حتى نفادها . . وربما كان لا يعرف لماذا يشتريها الناس .

* * *

بدوي في القاهرة

لم يكن مثل الشباب الآخرين ، الذين يقضون أغلب أوقاتهم في السهر والتسكع بالأسواق ، فقد كانت «أناسته» الحقيقية في جلوسه عند والده يعد الشاي والقهوة ويقدمهما لضيوفهما بعد العصر من كل يوم .

لذلك وجد أصدقاؤه ، وهم أيضا من أقاربه وأبناء عمه ، صعوبة في اقناعه ، قبل أن يسافر معهم لقضاء عدة أيام في «القاهرة» أثناء الصيف .

فلما نزلوا الفندق ، كانت الحياة غريبة إلى حد ما . . وإن بدأ يتعود على أجواء المطاعم والسهر والمشي في الأسواق . . وكان أكثر ما أسعده نزوله في حمام السباحة الموجود في الدور الذي فوق دورهم مباشرة في الفندق ذي الأدوار الشاهقة .

وفي يوم . . بعد العصر ، رغب في النزول إلى الحمام ، و«البلبطة» في المياه بخاصة وأنه للتو كان قد صحا من النوم . . فلما لبس المايوه الخاص بالسباحة ، وكان يريد أن يضع على جسمه لباساً آخر ، روب أو ما شابه ، عارضه أحد رفاقه وأشار عليه أن يضع الفوطة على كتفه ، بما أن الأسانسير أمام باب الغرفة ، ولن يصعد سوى دور واحد ليجد نفسه عند الحمام . فلا داعي لأن يأخذ معه لباسا آخر . فاقتنع بمشورة صاحبه . وتشجع لما رأى الممر خالياً إلى أن وضع قدمه بالأسانسير .

وما كاد يضع قدمه بالأسانسير ، إلا وكأن الأرض انشقت عن شخص مسرع لا يعرف من أي الغرف خرج ، فضغط هذا الشخص أحد الأزرة وتنحى جانبا . فقام صاحبنا وضغط الزر على الرقم الذي يوجد به حمام السباحة وتنحى أيضا .

وبينما ساوره القلق من تأخر انفتاح باب الأسانسير ، فإذا به يفتح وإذا بجمع من الناس رجال ونساء يريدون الدخول . . فلم يفكر بالأمر ، فقد خرج وهو لا يشك بأنه في الدور الذي يريده .

فلما أصبح خارج الأسانسير ، الذي أغلقت أبوابه وارتفع بمن فيه فإذا بصاحبنا في آخر مكان يتصور أنه فيه !!

كان صاحبنا في الدور الأرضي ، وعن يمينه الاستقبال ، وعن شماله «الكوفي شوب» وأمامه مباشرة باب الدخول الواسع . . وإذا عشرات العيون تنظر إليه باستغراب ودهشة من

وجوده في هذا المكان بهذا اللباس ، والنساء بعضهن أخذت تغطي عيونها وأخريات يفاجأن بالنظر إليه فيصرخن فزعا !

وأشد من هذا كله عليه . . أن بعض الشباب الخليجيين ممن كان تعرف عليهم ويشعرون تجاهه بتقدير كبير . . رآه بعضهم فأدار وجهه عنه كأنما لا يريد أن يعرفه خجلا مما هو فيه .

وكانت المصيبة الثانية . . أن الفندق لكثرة أدواره يتأخر الأسانسير فيه بالنزول مرة ثانية .

وهو في كل لحظة يدور بجسمه عن الناس ويندب حظه العاثر ساخطا من مشورة صاحبه التي وضعته في هذه الورطة ! !

* * *

بدلة أنيقة.. ولكن!

قبل بضعة عقود من الزمان ، كانت الكويت تستقطب الكثيرين من الشباب العرب الباحثين عن مصدر الرزق ، فكانت الوظائف الحكومية متوفرة والأعمال الحرة متيسرة لمن يملكون الخبرة والطموح .

وكثيرون جاءوا فرادى لا يملكون شيئا ، ورجعوا إلى بلدانهم بعد أن كونوا عوائل ، فتزوجوا وأنجبوا ، وعرفوا الغنى وهم يرفلون بالثراء والمكانة الاجتماعية .

نسأل الله تعالى أن يديم خير هذه البلاد وجميع بلاد المسلمين .

يروي حكايته . . عندما كان شابا ، وهو من قرية تقع شمال العراق ، فيقول : سمعنا في أحد الأيام أن أحد شباب القرية ، وهو ابن عائلة معروفة ولها مكانة في القرية ، قد عاد من احدى دول الخليج زائراً أهله .

فلما جئت مع من جاء للسلام عليه ، رأيته واقفا وقد ارتدى بدلة أنيقة وربطة عنق ، وكان

طويلا وسيما . . فأخذني منظره الساحر ، وظل في مخيلتي لا يفارقني أبدا .

وشاء الله تعالى ، بعد هذا اللقاء بفترة بسيطة أن أجيء إلى الكويت ، واشتغل في احدى الوظائف براتب مناسب .

وبعد مرور سنتين ، بعد أن ادخرت شيئا من المال ، حصلت على اجازة من عملي ، فقلت في نفسي حان الوقت لأزور أهلي ، فقد اشتقت لهم وللقرية والأصدقاء . . وكذلك تخيلت نفسي أدخل القرية في بدلة وربطة عنق ، فتطير لرؤيتي قلوب الفتيات وتشتعل نار الغيرة والحنق في نفوس الشباب !

وهكذا . . سافرت من الكويت ، في اجازة تزيد عن الشهر ، حتى إذا وصلت إلى بغداد ، نزلت في أحد الفنادق ، وبعد أن استرحت ، تجولت في السوق ، واشتريت بدلة غالية الثمن .

فلما كان اليوم التالي ، طلبت من أحد موظفي خدمة الغرف أن يساعدني في ارتداء البدلة وأن يلبسني «الكرافيته» ربطة العنق التي لا أعرف كيف يلبسونها حتى يومنا هذا؟ !

وخرجت من الفندق مختالاً ، إلى حيث محطة القطار ، فركبت أول قطار متجه إلى قريتي . ولما كانت المسافة تستغرق بضع ساعات تقريبا ، فقد نزعت البنطلون الذي شعرت ببعض الضيق من جلوسي به ، وعلقته فوق رأسي وأغمضت عيني لأغط في نوم عميق .

ولم استيقظ إلا على صوت القطار المميز : طووووط . . طووووط . . وهو يستعد للوقوف .

فلما رفعت رأسي لأتناول البنطلون ، فإذا عيناي تقعان على أقسى مفاجأة ! . . كان مكانه خاليا . . لقد سرق البنطلون أثناء نومي !

فوقفت دون شعور مني ، لا أعرف ماذا أفعل ، فإذا بالناس تدفعني بقوة تجاه الباب ، فكل واحد يريد أن ينزل ، وهناك أمام باب القطار أقارب لكل واحد يقفون بانتظاره . ولسوء حظي - ربما - فمحطة القطار تقع في وسط سوق القرية . . !

فشعرت كأن كل هؤلاء الواقفين بالانتظار ، والذين صادف وجودهم بالسوق . . ما جاءوا

إلا لاستقبالي لما دفعني الموج البشري إلى خارج القطار . . وأنا بالجاكيت الأنيق والقميص النظيف وربطة العنق الرائعة . . ولا شيء غير هذا إلا سروال أبيض داخلي ! . . والضحكات من حولي تصم الآذان !

وأعتقد بأني كنت أحاول الطيران حتى أصل إلى بيتنا هرباً من تعليقات العجائز اللاتي مررت بهن . فواحدة تقول : هذا ولد فلانة ! والأخرى تناديني باسمي : من فعل بك هذا؟ !

المهم . . ضاعت كل ترتيباتي في تحقيق ذلك الحلم . . بأن أقف بالبدلة الأنيقة والناس تسلم علي . . فلا حدث هذا ولا طارت قلوب الفتيات ولا اشتعلت قلوب الشبان غيرة ! !

* * *

علاقة جديدة

في حقبة ماضية ، عندما بدأت السيارات تدخل هذه المنطقة بأعداد قليلة جدا ، ثم ما لبث أن أخذت تتزايد وتتنوع موديلاتها .

وجد البدوي ، الذي كان هو الآخر في بداية سنوات استقراره وركونه إلى «البيوت الخشبية» أو الطينية ! . . متورطا في علاقة لابد منها مع هذه الآلة ، التي لها شؤون خاصة لم يألفها من قبل !

فأين هي من «الناقة» التي كان يركبها ، تلك التي تفهم اشارته ونبرة صوته؟ ! . . بينما هذه الآلة لا رابط بينه وبينها إلا أنها وسيلة تنقل !

فكان لهذه العلاقة الجديدة بين البدوي والسيارة فصول من المواقف والطرائف .

* * *

ما ترجع ورا

هذا أحدهم . . عندهم اشترى سيارة لأول مرة في حياته ، اختلجت مشاعر كثيرة في داخله ، منها فرحه بهذه السيارة ، كذلك زهوه أمام جيرانه بالذات النساء والأطفال الذين عندما يسمعون صوت موتور السيارة عند قدومه ، يقف الأطفال خارج بيوتهم ، وبعض النساء تطل من «الدرايش» لترى هذا المنظر الجديد عليهن .

وكانت عادته أن يركن السيارة ملاصقة تماما لجدار بيته الخشبي خشية أن تتعرض إلى خدوش أو ما شابه من أطفال الجيران .

وكان اللافت في الأمر كله . . هو منظر هذا الرجل عندما يقوم في الصباح ليذهب إلى عمله ، حيث يجلس عند المقود ويقوم أبناؤه وزوجته بدفع السيارة إلى الخلف حتى تبتعد عن البيت فيدير الموتور ويذهب . وقد أجاب ذات مرة على سؤال من أحد «الشياب» من جيرانه عن السر في دفع السيارة يوميا إلى الخلف من أفراد أسرته . . فقال :

- «يا بوفلان . . هذي السيارة ما ترجع ورا» ! !

وظل على هذه الحال ، إلى أن أخبره أحد جماعته فيما بعد بأن هذا النوع من السيارات ذات الجير العادي ، تضغط على الجير إلى أسفل قليلا مع إرجاعه من أقصى اليمين إلى الخلف . . فترجع السيارة .

* * *

ما طاح حديده

وهذا آخر . . عندما اشترى السيارة وكان أفضل أخوانه حالا في تعلم ما حوله من مستجدات ، كان عندما يقود السيارة يبدل حركات الجير من الواحد إلى الثاني وهكذا . . دون أن يضغط على «الكلتش» بقدمه اليسرى . . فيحدث الجير صوتا قويا وكأنه سينكسر .

فإذا سأله أخوه الأكبر عن مصدر هذا الصوت . . أجاب :

- «ياخوي . . السيارة جديدة وما طاح حديده» !

واستمر على هذه الحال أياما عدة ، حتى ركب معه أحد جماعته ، فلما شاهد فعله ، انتقده وعلّمه طريقة تبديل الجير الصحيحة .

وكان أخوه الكبير راكباً معهما . . فأخذ يعنف أخاه قائلا :

- «أقول له السيارة تحن وتقر ، وهو يقول ما طاح حديده» ! !

* * *

ما عرْف أوقّف

كان من غرائب أمور أحدهم ، وقد اشترى السيارة على كبر حيث بلغ الخمسين عاما ، وكان لتوه تعلم على يد أحد أقاربه طريقة تشغيل السيارة وتحريكها وقيادتها .

ومما يساعد على سير الأمور دون حوادث أو مشاكل ، أنه في ذلك الوقت لم تكن هناك طرق معبدة بالذات من حول مناطق «الشدادية» و«الصيهد» والمساحات الخالية واسعة بالإضافة إلى قلة السيارات .

أما شايبنا هذا فقد استطاع أن يمشّي أموره بصورة لا بأس بها ولكن بقي أمامه عائق واحد لم يستطع اجادته بالصورة المطلوبة . . وهو طريقة وقوف السيارة عند النقطة التي يريد الوقوف عليها ، فتجده إذا أراد أن يقف عند مكان تجاوزه ثلاثة أو أربعة أمتار .

فهذه المشكلة كادت أن تسبب له كارثة لولا لطف الله تعالى به ! . . فهو ثلاث مرات يرجع إلى بيته ، فلا يستطيع أن يتوقف إلا بعد أن «يصفق» العشة التي يستخدمونها مطبخا ، فيبعثر الأواني ويخرب المؤن الموجودة بداخله ، وفي احدى المرات كانت زوجته موجودة داخل المطبخ عندما جاء مسرعا ، إلا أنها عندما سمعت صوت السيارة مقتربا تحسبت للأمر وهربت إلى أقصى الجهة المقابلة ، وما أن وصلتها حتى سمعت صوت الارتطام المعتاد والتفتت لتجد مقدمة السيارة وقد دخلت عليها وتطايرت القدور والأواني بما فيها من طعام الغداء الذي كانت

تعده . فصاحت متذمرة من هذه المصيبة التي صارت تتكرر :

- «يا ويلي يا فلان . . نثرت قدورنا وخربت غدانا» !

فرد عليها غاضبا :

- «ولي . . ولي الله لا يجيبك . . ما تدرين إني ما اعرف آقف» !

❋ ❋ ❋

حذفت نعولي وطمرت!

كما قلت سابقا . . في فترة الخمسينات وما تلاها ، بدأت العلاقة بين انسان المنطقة والسيارات كوسائل نقل بديلة للدواب التي كان يستخدمها من قبل كالإبل والخيل وغيرها . والبدو بشكل خاص أكثر طيبة وعفوية من غيرهم بالذات فيما يتعلق بالمستجدات والتطورات التي شهدتها المنطقة آنذاك .

يحكى عن ثلاثة من الشبان ، لدى أحدهم سيارة (وانيت) وكانوا عند الماشية في عمق الصحراء المحيطة بمنطقة (حائل) شمال المملكة العربية السعودية . عندما انتصف النهار ، استقلوا (الوانيت) لشأن طرأ لهم في مكان آخر ، فركب أحدهم بجانب السائق أما الآخر فاختار أن يتمدد في حوض الوانيت وقد وضع نعليه كوسادة بعد أن لف (شماغه) حول رأسه .

ربما أراد أن يعوض جسده بأي شكل من الراحة ، حتى وإن كانت وهماً ، فالأرض في تلك الأنحاء عبارة عن (نفود) غير مستوية ، تجعل من الوانيت أشبه بحركة حيوان الكنغر عند سيره . . ولكن صاحبنا بحاجة للارتياح بعد يوم مرهق قضاه عند الحلال .

وهكذا كانت عيناه مغمضتين ، وجسده يتمايل يمينا وشمالا مع حركة الوانيت .

بعد فترة من السير ، وصل السائق إلى أرض مستوية تماما ، كأنها الشوارع الأسفلتية ، وكان

فرحاً لاشك بعد أن أخذ الوانيت يسير بصورة طبيعية ، فقد أتعبته هو الآخر تلك الأرض ذات المرتفعات والمنحدرات . . لكنه في تلك اللحظة ، شاهد في المرآة كأنما شيء خلفه يتدحرج . . فلما أمعن النظر فإذا بالشيء المتدحرج ما هو إلا صاحبهما الثالث النائم في حوض الوانيت !

فأوقف الوانيت ، ونزلا يركضان إليه ، فإذا بالجروح تنزف من أنحاء كثيرة من جسده وهو بالكاد يتحدث .

فلما استفسرا منه عن سبب سقوطه بهذا الشكل ، أجاب وهو يتأوه :

- «والله أنا يوم حسيت الوانيت هدأ واستوى على الأرض ، وكنت ما بين صاحي ونايم ، ظنيت أنكم وقفتم ، واحسب إنا وصلنا ، وحذفت نعولي وطمرت قبل لا أفتّح عيوني» ! !

* * *

المكينة كن فيها صوت جني

ولعل العلاقة الجديدة بين الإنسان والآلة . . يصورها الشاعر المعروف نجر العتيبي تصويرا بارعاً ، رغم فكاهته ، حيث يصف نهاية زمن جمله «شقران» وبداية زمن السيارة وهو قد اشترى سيارة «سكراب» على حد قوله . . فأنشد :

دقّهــــــا يا عــــيــــد لين يدرجني
لين نمشي من خطرها الله يناجي
لو مشت يومين . . بالثالث تكني
ما تقضي الوقت معنا باندماجي
يالسنين الماضية لو ترجعني
رجعن شقران حيث انه مزاجي

العوض عقبه سكاريبٍ تحني
ما تجي عرقٍ وراه البيت لاجي
القرنبع ما تنشع بالمغني
ما تعدى مزرعة راع الدجاجي
القرنبع ضيعت فكري وظني
جبتها قبل أمس من سوق الحراجي
التواير من ورا ما يمسكني
والمواشي من قدم فيها ارتجاجي
والمداقر والرفارف يقرعني
والكويل ما يورد للبواجي
والمكينه كن فيها صوت جني
ينزعج دخانها مثل العجاجي
والسوايل والبريك يهربني
كملت مصرف عيالي بالكراجي
خسرتني ما يكف الدين عني
اكلت البيزات ما يضحك حجاجي
مثل رأس غليص تأكل ما تونى
بيح الماجود ما عندي خراجي
شريت السكراب في كبدي طعني
ما تعدى العرق الأقصى بانزعاجي

مـــثلهـــا وأشكـالهـــا مـــا يعـــجـــبني

وان مـــــسكـت بـريكـهــــا الـسكـان راجي

مـع هـذا وأنـا بـعــــــد ســــــايـق وفـنـي

مـــيـــر مـــا ينفـع بـهـــا كـــثـــر العـــلاجي

ابـعــــــدوهـا يـا هـل المعـــــروف عـنـي

واشـــعـلوا في كـــشنهـــا مـــثل الســـراجي

* * *

تقليد أعمى!

في السابق . . كانت مساحة الحرم المكي أقل مما هي عليه في أيامنا هذه بكثير . ولم تكن حصلت له التوسعة التي نراها اليوم بفضل من الله سبحانه وتعالى ومن ثم رعاية واهتمام الحكومة السعودية بشؤون الحرم ، فجزاهم الله كل خير .

فكان الذي يسعى بين الصفا والمروة في ذلك الوقت يجد المحلات على جانبه ، قريبة منه .

فحدث أن أحدهم ، أثناء سعيه ، كان يحمل نعليه بيده ، وربما تعب من حملهما ، ولما كان على معرفة بواحد من الباعة في هذه المحلات ، فإنه عندما صار بمحاذاته نادى عليه ورمى الحذاء عنده بقصد أن يحفظه له حتى ينتهي من سعيه .

إلا أن المفاجأة التي لم تخطر على بال . . كانت عبارة عن قيام فوج من الأفارقة ، من خلفه ، رجال ونساء ، بتقليد ما فعله ، يظنون أنه من المناسك !

فكانوا كلما مر أحدهم بنفس المحل رمى حذاءه عليه ، وأكمل سعيه .

وقد عقدت المفاجأة لسان البائع ، فلا يدري ما الذي يحدث؟ ! . . أو ماذا يفعل؟ ! . .

سوى أن يضع يديه على رأسه يحتمي بهما من مطر الأحذية المنهمر فوق رأسه . . وهو يدعو الله أن يتوقف هذا الأمر .

* * *

تخلص من الثياب!

وعند الحديث عن الأفارقة ، فإن بعضهم يأتون من بلدان بعيدة لا تتكلم اللغة العربية ولا يعرف فيها شيء عن الإسلام . إلا أنه بفضل من الله سبحانه ومن ثم ما تقوم به لجان اسلامية وجهود بعض الشباب الخيرين الدعوية ، يدخل هؤلاء في الإسلام . وقد يأتي بعض هؤلاء لأداء فريضة الحج وهو مازال يجهل في الأحكام الفقهية وفي كيفية أداء بعض الأركان وما شابه .

تقول احدى السيدات :

في احدى سنوات الحج ، بينما كنت جالسة في ركن من الحرم أقرأ القرآن ، رفعت رأسي فجأة ، فإذا بمجموعة من النساء الأفريقيات قد بدأن بالتخلص من ثيابهن .

ففهمت أن في الأمر شيئا ما خطأ ، فأخذت أنادي لألفت انتباه النساء العربيات من حولي ، وقمت أمنع هؤلاء الأفريقيات مما يفعلن ! . . وكنت أشير لهن بعدم جواز ما يفعلن لأنهن يتحدثن بلغة لم أفهمها .

وتكمل هذه السيدة :

الحمد لله . . بعد أن استطعنا وقف ما يحدث بمساعدة بعض الأخوات الموظفات في الحرم ، تفاجأنا بأن هؤلاء النساء الأفريقيات كن يعتقدن أن المرأة تحرم مثل الرجل ، بقطعتين من القماش وليس بثيابها العادية !

* * *

مطوف أعرج

هؤلاء مجموعة من دولة شرق آسيوية جاءوا لأداء العمرة ، فاتفقوا مع «مطوف» على أن يلقنهم بعض الأدعية ليرددونها من ورائه .

وكان هذا المطوف أعرج ، فقال لهم : افعلوا ما أفعل ، أي من طواف والتزام الحجر الأسود وابتداء الأشواط . وقولوا ما أقول ، أي من أدعية .

فلما ابتدر صاحبنا الطواف ، كان رأسه يتمايل يمنة ويسرة بسبب عرجته ، فإذا بالذين من خلفه ، من الرجال والنساء ، يتمايلون كذلك مع حركاته ! . . بسبب اعتقادهم أن هذه الحركة أو المشية داخلة ضمن الدعاء أثناء الطواف !

* * *

كمان ركعتين

يقول أحد الشباب : دخلت المسجد مرة متأخرا عن الصلاة ، وقد فاتني الصلاة مع الجماعة . فأشار أحد الموجودين إلى رجل يصلي لوحده ، فعرفت أنه مثلي فاتته الصلاة مع الإمام .

فلما جئت إليه كان جالسا يتشهد . . فقلت في نفسي إما أنه جالس بعد الركعة الثانية أو في التشهد الأخير . لكنه وقف فحمدت الله ودخلت معه في الصلاة ، وكانت صلاة الظهر . . وبعد ركعتين جلسنا . . أنا في التشهد الأول وهو مؤكد أنه أتم صلاته وسوف يسلم . . لكني فوجئت به يقوم ، فقمت متعجبا من أمره .

وبعدما صلى ركعتين جلس للتشهد وجلست معه للتشهد الأخير . . فلما سلم سلمت وسألته :

- «يا أخي أنت كم ركعة صليت؟ . . أنا لما دخلت معك الصلاة كنت جالس في التشهد الأول يعني مصلي ركعتين»؟ !

فقال بعد أن عرفت من لهجته أنه من الأخوة العرب :

- «بلى . . لكن قلت بدل ما أسلم أصلي معاك كمان ركعتين ونسلم مع بعض» ! !

* * *

أكلتكم الملائكة!

هذا أحد الشباب المتدينين ، عندما من الله تعالى عليه بالهداية والاستقامة ، تغيرت كثيرا من سلوكياته وعاداته ، شأنه في ذلك شأن كل من يلتزم ويعرف الطريق الصحيح ويثبته الله تعالى على الصواب ، ويجتنب المعاصي والمحرمات . . إلا أن الإنسان الملتزم يكون في بداية التزامه على غير علم بكثير من أمور الدين ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يكون عرضة للوقوع في أخطاء أو هفوات غير مقصودة .

حدث أن هذا الشاب في بداية التزامه دعي إلى وليمة مع مجموعة من أخوانه من الشباب الملتزمين . وبعد أن وضعت المائدة وأقبلوا على الطعام وهو معهم ، كان يأكل وفكره مشغول بأمر آخر .

كان يفكر بالدعاء الذي يقوله لصاحب الدعوة عندما يفرغ من الطعام . . فلما انتهى أصحابه من الأكل ، كانوا كلما قام أحدهم يقول : «اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وأرحمهم» . ويقول ثان : «أكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة ، وذكركم الله فيمن عنده» . أما هو فكان يتخيل أن الكل ينتظرون ماذا يقول أو أنهم منتبهون له رغم أنه لم يلفت انتباه أحد في الواقع .

وبينما هو في خيالاته هذه وشعوره بالإحراج لمخافته أن يخطىء في الدعاء . . إذ وقف قائلا

بصوت سمعه كل الحاضرين :

- «أكل طعامكم الأبرار . . وأكلتكم الملائكة» .

* * *

ماني مشتهي!

هذا أحدهم ، ربما صدف أثناء زيارته لأقاربه أن كانوا قد وضعوا الطعام ، فيدعونه للأكل . يقول : عادة ما أكون قد تناولت طعامي في منزلي ، فاعتذر لهم بقولي :

- «ماني مشتهي» !

أي ليست لي رغبة بالأكل . ويضيف قائلا : كلما قلت هذه الكلمة أصابني شيء لا أعرف تفسيره . . حيث تنفتح شهيتي للأكل جدا ، بل يصبح هذا الطعام الذي أراهم يتناولونه ، أحب شيء عندي في هذه الدنيا .

* * *

أنقّش!

وهذا آخر . . شراهته في أكل الطعام على مستوى عال . حدث أن زار بعض أقاربه ، فوجدهم للتو وضعوا الطعام ، فطلبوا منه أن يشاركهم بالأكل ، لكنه اعتذر بأنه تناول طعامه في بيته ولا يستطيع أن يأكل أي شيء .

إلا أنهم ألحوا عليه بالمشاركة ، فلم يجد بدا من قبول الدعوة المفروضة عليه . . فلما جلس معهم على الطعام ، قال :

- «والله إني متعشّي وشبعان . . لكن أبي أنقّش معكم» !

ومعنى قوله (أنقّش) أي آكل على الخفيف . لكنه لما بدأ الأكل نسي نفسه وجعل يزحف

الطعام من جهته حتى بدأ يظهر قاع الصحن إلى أن وصل منتصف الصحن .

فلم يجد صاحب البيت إلا أن يقول له :

- «يا فلان . . إذا هذا أكلك ، فـمرة ثانية نقّش عند أهلك وتعال تعشَّى عندنا» ! !

* * *

أعرف أساسه!

قام رجل بزيارة أحد كبار قبيلته في صبيحة يوم من الأيام ، فوجده قد جلس ليتناول طعام افطاره . فلما دعاه ليفطر معه فإذا بالطعام يحوي أصنافا لذيذة ومرتبة بشكل مغر تدل على مكانة صاحب البيت وثرائه .

فمد الرجل يده يتناول من الأجبان والزبد والعسل والقشطة ، تارة هنا وتارة هناك . وكان في وسط المائدة طبق بيض لم يمد الرجل يده إليه وهذا ما أزعج صاحب البيت الذي تمنى لو تناول منه وأبقى له شيئا من هذه الأصناف الشهية . . لذلك قال له ينبهه وهو يشير إلى طبق البيض :

- «يا فلان . . يمكن إنك ما تعرف هذا ، ترى هذا البيض»؟ !

فأجابه الضيف وفمه ممتلىء بالعسل والزبد :

- «لا والله أعرفه ، وأعرف أساسه ، وأعرف منين طلع . . وأعرف أمه وين تفلّى» !

فكانت إجابة جعلت صاحب البيت يشمئز ويترك الطعام كله لهذا الضيف الشره .

* * *

طولة شارب!

في الحياة العسكرية . . يجب دائما أن يكون العسكري حسن المظهر ، حريصا على هندامه . وهناك أوامر عسكرية صارمة بتقصير شعر الرأس ، وتهذيب شعر «الشارب» إلى

حد مناسب .

وفي احدى المرات ، بينما أحد القادة الكبار ، ممن اشتهر بصرامته وشدته لدرجة أنه لا أحد يجرؤ على الوقوف أمامه دون أن يتلعثم أو يرتبك ، كان هذا القائد يقوم بالتفتيش على طوابير العسكر ، فإذا به يلحظ عسكريا يقف شارباه كأنهما جناحا طائر لطولهما . فاستغرب . . وصاح به منفعلا :

- لماذا لا تقصر شاربك؟ !

فرد العسكري بثبات ، وكان هذا قبل أربعين سنة تقريبا ، مع بداية استقرار كثيرين من أهل البادية بعد حياة التنقل وانخراط أبنائهم في الوظائف الحكومية ، قائلا :

- «يا طويل العمر . . أنا يوم دخلت الجيش أبي طولة الشارب» !

فابتسم القائد ، بعد أن فهم مغزى اجابته ، فالبدو يطلقون على الفعل الذي يستحق الإشادة عبارة «طولة الشارب» وكذلك الفعل المشين يرون أنه يقصر شارب الرجل .

وليت هذا البدوي الأصيل يعلم عندما أجاب باجابته تلك ، ما آل إليه حال الكثيرين من أبناء البادية وغيرهم ، في أيامنا هذه ، حيث أصبحت «الشوارب» عندهم أرخص من التراب ، وهم يتفننون في تقصيرها من كل الزوايا تحت مسميات الموضة الدخيلة على مجتمعنا مثل : كلاسيك وما شابه !

* * *

انفجارات.. ولكن!

قامت بعض الأيادي السوداء البغيضة بأعمال تخريبية وتفجيرات بدولة الكويت في الأعوام الثلاثة التي تلت العام ١٩٨٠ . وكانت المقاهي والأسواق التجارية من أهم الأماكن المستهدفة . الأمر الذي جعل الناس تهاب هذه المرافق وتكون على حذر عند دخولها .

وهذا أحدهم . . في عصر أحد الأيام ، خرج من من منزله بكامل أناقته متجها إلى أحد الأسواق في العاصمة ، فلما وصل إلى السوق ، ركن سيارته في مواقف قريبة . . وترجل ماشياً بهدوء وثقة .

وهذا السوق عبارة عن محلات متراصة ، تبيع البضائع رخيصة الثمن ، وكان هناك باعة يفترشون الأرض ، يعرضون بضائع مختلفة ، عادة تكون مقلدة ، وهم غير مسموح لهم البيع بهذا الأسلوب المخالف لقوانين التجارة .

نعود لصاحبنا . . الذي حينما دخل السوق ، فإذا بجموع من الناس تستقبله هاربة . وفي لحظة تخيل أن انفجارا حدث ، لأنه معبأ ذهنيا بهذا الأمر ومهيأ له تماما . . لذلك أظلمت الدنيا في عينيه . . وكان أول ما فعله أن أطلق ساقيه للريح هاربا مع الناس ، وقد مر على سيارته . . وفكر أن يركبها إلا أنه في لمح البصر عدل عن فكرته هذه ، فربما يكون الموت أسرع ، لذلك تركها وأكمل ركضه .

وبعد أن نال منه التعب وهو يركض . . واضعاً يده اليمنى على رأسه حتى لا تقع «غترته» ويده اليسرى على جيبه حتى لا تسقط محفظته . . والناس الهاربون من حوله لهم دبك وخرخشة وقرقشة !

فلما شعر وكأن المسافة طالت . . التفت إلى واحد يركض بجانبه قائلا :

- «وش فيه»؟ !

فرد عليه الآخر بصوت خائف :

- «البلدية» !

فشعر صاحبنا وكأن ماء مثلجا انهمر فوق رأسه فجأة . . فتوقف عن الركض ، وانتبه للذين يركضون من حوله فإذا هم باعة مخالفون من الجنسيات الهندية والبنغلاديشية وغيرهم ، وهذه عادتهم إذا جاءتهم «كبسة» من مفتشي البلدية ، جمعوا بضاعتهم

المصادر

١ - روائع من الشعر النبطي - عبدالله اللويحان .

٢ - فتافيت من المواقف والطرائف - عبد الرحمن بن زيد السويداء .

٣ - شعراء من الرس - فهد المنيع الرشيد .

٤ - من آدابنا الشعبية في الجزيرة العربية - منديل بن محمد الأسعدي .

٥ - شعراء من الزلفي - حمود بن محمد النافع .

٦ - مأثورات شعبية - محمد العيودي .

٧ - خيار ما يلتقط من الشعر النبط - عبدالله حاتم .

٨ - ذكريات الصبا - سليمان الهويدي .

٩ - ديوان الشاعر حمد المغلوث .

١٠ - بعض المتشابه من القصائد الشعبية - أحمد العريفي .

١١ - ديوان الشاعر نجر العتيبي .

فهرس الكتاب

